روايات عبير

مبارزة من اجل الحب

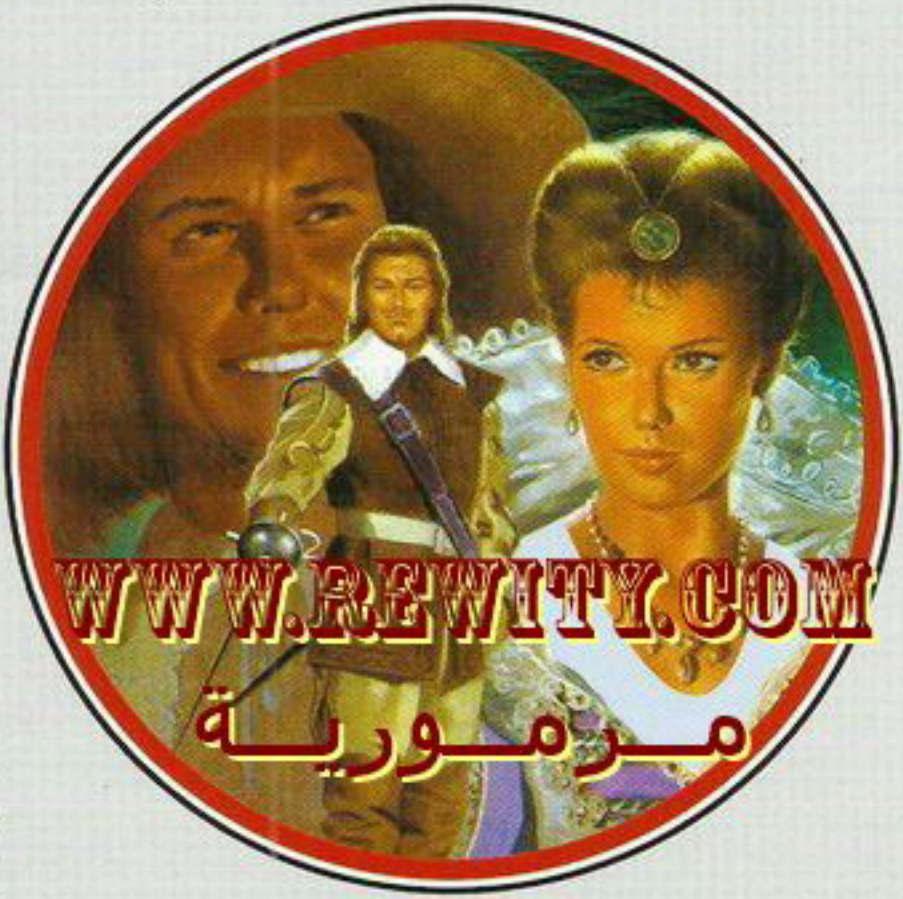

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Stéphane CALLAGHAN

No 664

روايات عبير

في قلب العصور الوسطى،
واجه ملك إنجلترا ملك فرنسا.
وتورطت الجميلة "كونستونس دو جالناي" في هذا النزاع
الذي سيجرها إلى سلسلة من المغامرات المأساوية.
بينما يهجم العدو على القصر الذي تحتمي به "كونستونس" بدور
"جيوفري" الفارس الجميل ذي الشعر الذهبي المتموج. لم تعرف الفتاة
الشابة أن هذا الرجل لملكتها الفاتنة (أليونور داكيتان) لن يسمح
لـ"كونستونس" أن ترى الحقيقة المؤلمة سوى مباراة يكاد
(جيوفري) أن يفقد حياته خلالها.

www.ibtesama.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	20 درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	2.5 دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-38-038-4
9 789953 380384

شخصيات الرواية

"جيوفري دانتيني" : فارس في بلاط الملك "هنري الثاني" بلانتاجينيه ملك إنجلترا.

"جيرو دو فنتالفرين" : فارس شجاع ومخلص ولكنه متهور ومندفع خصم لـ"جيوفري دانتيني".

"كونستونس دوجالناي" : فتاة شابة تفقد والدها في حرب بين ملك إنجلترا وأحد ولاته في توار.

WWW.BEWIT.COM
مـــر مـــوريـــة

الغلاف الأمامي

إنها معركة قوية بين الحرب والسلام والحب والكراهية. إنها معركة أزلية أبدية. وعلى الرغم من شراستها فإن المشاعر النبيلة لا تموت أبدا. وينتصر الحب في النهاية.

الفصل الأول

في هذا اليوم من شهر إبريل (نيسان) لسنة ١١٥٨ أقيم حفل كبير في قصر "توار". دعي فيه كل نبلاء الأنحاء حيث كانوا يحتفلون في مرح.

أخذ المهرج يؤدي ألعابه الخطرة ودار في دورة أخيرة وألقى بنفسه عند قدمي سيد "توار". فضحك وقدم الشراب للمهرج قائلا:

- خذ اشرب.

تحت هتافات الجميع شرب الرجل الكأس في جرعة واحدة. وليشكر السيد طار في حركة دوران جريئة. ونال إعجاب الجميع.

فجأة فتح باب الصالة الكبيرة في صخب ودخل الخادم مذعورا وأطاح بالمهرج في طريقه. انتصب سيد "توار" متوردا من الغضب. ونهره قائلا:

- كيف تجرؤ؟

صاح الرجل:

- سيدي سيدي لقد بدأ الهجوم.

- ماذا تقصد؟

- الحقيقة يا سيدي. رجال مسلحون يتجمعون حول القصر. هناك الكثير منهم لدرجة أن حشائش الحقول قد اختفت تحتهم. إنه "بلانتاجينيه" أنا متأكد.

عند سماع هذا الاسم ارتعش المدعوون. وانطلقت صيحة فزع من أفواه السيدات.

قال سيد "توار" من بين أسنانه:

- يجب أن أذهب لأرى.

WWW.RWITY.COM

نهض وأمسك سيفه وقلده كل النبلاء من الفرسان الجالسين حول الطاولة. وصل إلى الأسماع صوت صاخب ومثير للقلق.

فزعة ضغطت "كونستونس دو جالناي" على يد والدها. التفت نحوها ونظر إليها في حنان. وجهها الرقيق تحيطه طرحة خفيفة بيضاء وضفائرها الشقراء الجميلة. لقد كانت في سن الزواج إلا أن والدها "جيوم دو جالناي" لم يقرر الانفصال عن طفلته فقد كان أرملا. مال نحوها مبتسما.

– ساتركك وأذهب لأرى ماذا يحدث.

قرأ القلق في عيني ابنته الخضراوين. وربت خدها.

– اهدئي. لا يمكن أن يكون هجوما: "هنري بلانتاجينيه" سيد مضيفنا ومن واجبه مساعدة وحماية وليه.

عاد اللون الوردي إلى خدي الفتاة الشابة. ابتعد "جيوم دو جالناي". وأشار إليها بالتشجع. أجابته بأن أرسلت له قبلة على أطراف أصابعها.

في السهل كانت الشمس تلمع في سماء إبريل (نيسان). اقترب الفرسان وتعرف سيد "توار" الرجل الطويل الذي يتقدم الفرسان.

صاح:

– "هنري بلانتاجينيه".

توقفت المجموعات المسلحة، انفصل عنهم فارس جرى حتى الباب الذي فتح أمامه.

– إليك يا "فيكونت"، جئت أقول لك بأمر من "هنري الثاني" سيدك، ملك إنجلترا، وكونت "دانجو"، ودوق "نورماندي"، إنك أخللت بعهد التبعية لقيادتك وانتهجت حياة فاسدة، وارتددت عن التصرف كتابع مخلص. ونتيجة لذلك سترد الآن القصر

والإقطاعيات إلى سيدك أمام الله.

صاح "سيد "دو توار":

– أبدا، إذا كان "هنري" يريدني فليات ليأخذني.

ذهب الفارس لينقل الرد ثم عاد:

– "هنري" يقول لك إذا رفضت الخضوع لإرادته فسيتم نقلك بالقوة.

كان كل رد سيد "توار" هو أن أخذ في ثورة قوس أحد رجاله المسلحين وصوب على المرسال المسكين الذي سقط وقد أصابه السهم بمهارة.

قال أحد الضيوف":

– سيدي ماذا فعلت؟ لا نستطيع أن نقاوم "بلانتاجينيه".

– أنا لم أعد تابعا. قصري قوي ورجالي عديدون وأنتم شجعان. هل تفضلون الموت في شجاعة أم الحياة تابعين؟ هتف كل الفرسان في صوت واحد:

– لنحارب. إنها لنا يا "توار".

كرجل حرب ماهر نظم السيد الدفاع دون أن يضيع لحظة واحدة.

– المراقبون إلى الأبراج. لتعدوا الزيت المغلي وأنتم: "أوليفييه"، "رينو" "أموري"، اجمعوا الرماة "جيرار"، "أرنو"، و"إنجراند"، أوقفوا الرجال المسلحين في أماكنهم. سيد "دوجالناي"، اذهب وأخبر السيدات والآنسات أن يبقين في مخبأ في البرج الرئيسي.

عاد "جيوم دوجالناي" إلى صالة الحفل التي اختفى عنها كل مظاهر البهجة وحل مكانها قلق عظيم أسرّعت "كونستونس" نحوه. قائلة:

– ماذا يحدث؟

– للأسف الأخبار ليست سارة. "هنري بلانتاجينيه" وقواته أمام القصر. وأعلن مضيفنا العصيان. يجب علينا أن نحافظ معه على مقعده.

رد على حديثه بكاء السيدات. أخذت "كونستونس" ترتعش. أحاطها في حنان وقال لها بصوت قوي:

– لا تخشين شيئا يا سيداتي. نحن عديدون والقصر قوي، اذهبن إلى البرج الرئيسي وستكن في مامن.

عاد. تعلقت به "كونستونس".

– والدي. لا تتركني.

– يجب أن نساعد السيد "دو توار" تشجعي. سيعود "هنري الثاني" أدراجه هذا المساء.

ابتسمت "كونستونس" ابتسامة حزينة. بعد رحيل "جيوم" تبادلت نظرة يائسة مع "روزموند دو مونتليون"، ابنة عمها التي تصغرها بعامين.

قالت هذه الأخيرة:

– "هنري بلانتاجينيه" الرجل الذي لا يتراجع.

– أعرف سيصمد حتى يفنى آخر جندي من جنوده. إني أخشى على أبي: لقد احتفظ قلبه بحمية الشباب لكني أخشى أن تخونه قواه.

– لا تخافي "جيوم دو جالناي" هو أكثرهم شجاعة، لا يستطيع أحد أن يهزمه سوى "بلانتاجينيه" إذا حاربه في معركة فردية.

انتشرت قوات "هنري" حول القصر. بعد قليل سيصوبون سهامهم. تتابعت السهام وانتشرت على الأسوار. أحيانا تصيب

أحد المدافعين فيتقهقر إلى الخلف أو أن يسقط من أعلى ويأخذ مدافع آخر مكانه. ثم تعالى الصخب والصراخ، أقام المهاجمون السلالم وتسلقوها على الفور. فكان المدافعون يدفعونهم بكل قوتهم. ويصب رجال آخرون أقوياء الزيت المغلي على جنود "هنري" الذين يسقطون وهم يصرخون.

وتعلقت السيدات الواحدة بالأخرى في البرج الرئيسي للقصر، البعض منهن تسد أذنيها. جالسة بجانب "روزموند" قالت "كونستونس" في عصبية:

– هذا الصخب وصرخات الألم. ونحن نجلس هنا دون حراك بينما يواجه أصدقاؤنا الخطر؟

قالت ابنة عمها:

– لنذهب إلى النافذة.

بأسفل كان المدافعون قد وصلوا إلى قمة الأسوار. إنهم يدافعون بأجسادهم. شد انتباه "كونستونس" معركة حامية الوطيس بالقرب من البرج الغربي. أحد فرسان "هنري" يحارب كالأسد الضاري كان في ذراعه مائة سيف. النصل يدور في كل اتجاه. بهرتها شجاعته فقالت "كونستونس":

– يالله من شجاع! في حياتي لم أر مثل شجاعته.

الرجال يسقطون حوله والذين يبقون على قيد الحياة يفرون بعيدا عنه. بعد قليل كان بمفرده وكان أعداؤه في الجانب الآخر، عند الواجهة الجنوبية ليواجهوا موجة جديدة من المهاجمين.

منتهزا هذه الفرصة رفع الفارس خوذته ومسح جبهته فظهر شعره الذهبي المتموج ولمع تحت الشمس.

همست:

– كم هو جميل، كأنه أمير.

www.rewity.com

– ربما يكون كذلك ملامحه نبيلة وأبية.

– خسارة أنه ليس واحدا منا.

فجأة وكأن نظراتهما تناديه. رفع الرجل رأسه نحو البرج ونظر إليهما. سيفه بيده بقي ساكنا يتأملهما. هل هذا وهم؟ تصورت "كونستونس" أنها ترى ابتسامة على وجهه الوسيم.

ثم وضع الفارس خوذته ووثب نحو البرج الجنوبي حيث تدور رحى المعركة. في إعجاب تبعته الفتاتان بعيونهما. قفز أعلى الأجساد المتناثرة وسيفه يلوح في الهواء مندفعا غير مبال بالأسلحة التي تدور حوله.

فزعت "كونستونس" إذ اعتقدت أنها رأت شعار عائلتها المكون من خيوط ذهبية رقيقة لـ"جيوم دو جالناي" بين الأجساد المتمددة على الأرض التي يتخطاها الفارس الجميل. صاحت:

– والدي هناك، إني أراه، لقد جرح، ساجري إليه.

حاولت "روزموند" أن تمنعها.

– لا إنك تخاطرين بحياتك الأمر خطير جدا.

– لا يهم، أبي جريح وربما يكون يحتضر، إنه يحتاج إليّ، ساحضره إلى البرج.

ابتلعت خطواتها السريعة درجات السلم دون أن تهاب الخطر واندفعت بين المتحاربين الذين ابتعدوا بعفوية عن طريقها. ودوت الأسهم حولها دون حتى أن تعير ذلك اهتماما. أسرعت إلى الرجل الملقى على الأرض ومالت نحو وجهه الملطخ بالطين. توقفت وزفرت في ارتياح. لقد أخطأت إنه ليس السير "دو جالناي". بقيت لحظة ساكنة في مكانها مرتعشة وقد انتبهت فجأة إلى الخطر الذي يحيط بها، وقدرت في يأس المسافة التي تفصلها عن البرج. وها هي لا تزال في اضطرابها ثم تحت فارسا يجري إليها وهو

يقول:

– آنستي مكانك ليس هنا. هل أستطيع أن أساعدك؟

حملقت إليه لحظة دون أن تفهم وتعرفت عليه، إنه الفارس الأشقر الذي كانت تنظر إليه هي و"روزموند" في إعجاب. من خلال النافذة. خلع خوذته وابتسم. كانت نظرته صريحة ومباشرة، عيناه بلون أزرق عميق ينبعث منهما ثقة كبيرة بالنفس. ردد:

– دعيني أساعدك.

تقدم خطوة وهو يمد إليها يده. رجعت إلى الخلف فجأة وصاحت:

– احترس.

اندفع مدافع عن "توار" محاولا إصابة الفارس الجميل. ترنح الرجل الشاب ولف السلاح مرة ثانية في ضربة مميتة. عندما استلقى الفارس على ظهره واستل السيف من جانبه. اندفع المعتدي وسقط على السيف سقط درع الرجل وطار فاصاب كعب "كونستونس".

نهض الفارس الأشقر والتفت نحو الفتاة الشابة. وأسرع نحوها قائلا:

– يا إلهي لقد أصبت، أنت تنزفين.

اعترضت "كونستونس":

– إنه مجرد خدش. لكني كنت أخشى أن تصاب أنت، لقد كانت ضربة مفاجئة.

– إني مدين بحياتي لصرختك. بدونها كان هذا الرجل سيحطم رأسي.

نظر حوله في سرعة إلى وطيس المعركة، يبدو أن لا أحد يهتم

www.rewity.com

بوجودهما. اقترب وأمسك بيدي "كونستونس".

– يداك مثلجتان ووجهك شاحب، ساحملك.

– لكني أستطيع أن أمشي.

– سأسندك إذن، يجب أن أضعك في مخبأ.

شعرت بحرارة يده القوية تحت كتفيها واستندت إلى صدره القوي وهي تشعر بالأمان وقادها إلى البرج.

قطع طريقهما معركة بين عدة فرسان. إنهما الآن أمام الباب والسيوف تتخبط في عنف وواجه الاثنان خطر الإصابة.

احتضن الفارس الشجاع "كونستونس" وحملها واخترق الباب وأنزلها بالداخل. كانت شاحبة من الخوف وترتعش.

أراد أن ينطلق إلى الخارج عندما سمع تأوهها. وقال لها:

– لا أستطيع أن أتركك هكذا.

جثا على ركبتيه وأخذ قدمها الرقيقة بين يديه وفحص الجرح.

– هل تؤلمك؟

– لا، كعبي فقط يؤلمني.

كان الفارس رقيقا جدا وهو يفحص جرحها. إنها رقة يصعب تخيلها في فارس قوي مثله. شعرت "كونستونس" بالارتياح وهي تلقى هذه العناية من الفارس الأشقر الذي أخذت تتأمل خصلات شعره المجعدة. وهو مائل نحوها. ثم رفع رأسه وتقابلت عيونهما. بدا متأثرا جدا. وهمس:

– آنستي الرقيقة، لم أر أبدا جمالا مثل جمالك وقلبي يرتعش لذلك.

قالت:

– وأنا معجبة جدا بشجاعتك. عندما تحارب.

– رأيتك وأنت في نافذتك العالية، ولقد أبهرتني صورتك

كالشمس.

– ارتعشت عندما رأيتك تترنح.

مال نحوها واقترب وجهه من وجهها. وسألها.

– ما اسمك؟

أجابت:

– "كونستونس دو جالناي". إني ابنة "جيوم دو جالناي".

ردد هامسا:

– "كونستونس" الجميلة "كونستونس".

– وأنت بدورك قل لي اسمك.

– "جيوفري دانتيني".

"أنتيني" واحد من أقرب المخلصين الشجعان المقربين إلى "بلا نتاجينيه".

لقد سمعت كثيرا هذا الاسم قالت في نفسها: "إنه هو إذن".

في بطء اقترب "جيوفري" من شفتيها وأغلقت "كونستونس" عينيها. وتعانقا في قبلة طويلة حادة توحدت فيها دقات قلبيهما وكأنهما قد تبادلا روحيهما في هذه القبلة التي أحاط بها الموت والخطر والخوف.

وبعد وقت طويل ابتعد عنها ومسح في حنان على ضفائرها الشقراء.

قال:

– هذه القبلة هي عهد حبي.

– ولن أقبل غيرك سيدا ومليكا لي.

نهض قائلا:

– يجب أن أعود إلى المعركة.

واستطرد مقطبا بين حاجبيه:

WWW.REWITY.COM

– لقد أخللت كثيرا بواجبي ببقائي بالقرب منك.

ثم قال:

– أعطيني دليل عهدك.

دون ان تتردد مزقت قطعة من طرحتها ومدتها إليه. حمل القماش الشفاف إلى شفتيه في احترام ودسها في صدره. وهو يقول:

– هذا سيحميني. عندما تهدأ المعركة ساعود وستكونين زوجتي.

خرج وصعدت "كونستونس" إلى البرج. وعندما رأت "روزموند" أن وجهها مشرق خمنت أن شيئا ما قد حدث لم تكن فضولية فلم تلق عليها بأي سؤال. جلست "كونستونس" صامتة سارحة في عالم يصعب اختراقه، كانت هذه هي المرة الأولى في حياتها التي يقبلها رجل. بقيت فريسة لمشاعر كثيرة تائهة في هذا العالم الجديد المبهر الذي فتح أمامها.

بعد هذا الهجوم الانتحاري انسحب المدافعون عن القصر بالتأكيد لكي يعيدوا ترتيب صفوفهم. كانوا يتسلقون السلالم أو يقفزون إلى الخنادق تحت السهام.

وكان الانسحاب نافعا من أجل مداواة الجرحى. بقيت السيدات حتى المساء يعالجن الجرحى. بعض منهن كن يفقدن الوعي أمام الجروح الكبيرة أو عند رؤية أحد الفرسان ممددا وقد فارق الحياة.

ولقد حمى الله "كونستونس" من هذا الألم: جاء السير "جالناي" سائرا على قدميه في ألم. قفزت إلى ذراعيه القويتين وقد فزعت من الدم الذي يلطخ وجهه.

– هل أصبت؟

أضاءت ابتسامة عريضة وجهه المجهد.

– اطمئني، ليست سوى جروح بسيطة. لكني متعب.

قبلت رأسه:

– أبي العزيز. تعال لتستريح ساعتني بك.

مستندا إليها ترك نفسه لتقوده ثم انهار على مقعد خشبي ثم شكرها على مساعدتها بأن ضغط على يدها بأصابعه وسألها:

– هل أصبت بالفزع؟ هل شاهدت المعركة؟

– نعم، لقد كنت أشاهد شجاعتك في إعجاب طوال اليوم.

صمتت فجأة وعضت شفتيها. ألم تنس والدها منذ أن رأت "جيوفري"؟ في صمت شكرت الله بأنه لم يصب والدها مكروه، لم تكن لتسامح نفسها.

في المساء أعد السيد "توار" وليمة كبيرة لضيوفه.

– لنحتفل يا أصدقائي. لنحتفل اليوم حتى لو كنا سنموت غدا. ليغن المغنون. وأنتم أيها المهرجون أطلعونا على مواهبكم.

غنى المغني أغنية حزينة.

– كفى. غنّ شيئا مبهجا. لقد أثارت المعركة جوعي.

التهم الفرسان الطعام، كانهم سعداء لأنهم يحاربون وعلى العكس بقيت النساء مكتئبات. لم تلمس "كونستونس" طبقها وفكرها مشغول بصورة "جيوفري" وذكرى قبلته إنها خائفة عليه.

قال والدها:

– كلي إذن يا ابنتي، ماذا بك؟

– كيف تريدني أن آكل بينما أحصي مقدما الموتى والجرحى الذين سيسقطون غدا؟ كل واحدة هنا تخاف على زوج أو أب أنا أيضا خائفة.

– الحرب عمل نبيل لا يجب أن يخشاه أحد. لم أعمل هذا

www.rewity.com

العمل طوال حياتي.

هزت "كونستونس" رأسها:

– هذه المعركة حمقاء، إنه جنون حقيقي الحرب ضد "بلانتاجينيه". السيد "توار" يخاطر بقتلنا جميعا من أجل كبريائه.

– لا تتحدثي هكذا. هل تريدينه أن يتخلى عن مقاطعته وقصره بدون أي رد فعل كالشاة التي تذبح؟

بدا الغضب في صوت الأب فلم تصر "كونستونس". ثم أعلن السير "توار":

– الموقف خطير. لقد صمدنا ولكن سقط منا العديد من الشجعان. منذ الفجر سنحاول أن نجد مخرجا.

وعرض خطته: سيلجأون إلى هجوم مضاد. سيحرس القصر مجموعة من الفرسان. في تلك الأثناء سيرحل معظم المحاربين خلال النفق السري الذي يؤدي إلى مكان خلف جيش "بلانتاجينيه". بهذه الطريقة يستطيعون الهجوم على الأعداء من الخلف. لقد اعتمدت خطته على عنصر المفاجأة.

في الفجر ساعدت "كونستونس" والدها على ارتداء الخوذة والدرع.

– عدني ألا تعرض نفسك للخطر بدون داع. ماذا سأصبح بدونك؟

قبلها في حنان.

– سيحفظني الله ودعاؤك.

تركها. بدأت السيدات المجتمعات في البرج في الانتظار. الكثيرات كن يبكين ويدعون. بالخارج كان رجال "بلانتاجينيه" قد استانفوا الهجوم. وجلست "روزموند" بجانب "كونستونس"

تفزع كلما سمعت صوت ارتطام السهام بحوائط القصر.

تاوهت:

– ستنهار الأسوار.

همست "كونستونس":

– أتمنى ألا يصاب بأذى.

دهشت ابنة عمها لنبرة صوتها ونظرت إليها وقد فهمت وقالت:

– أنت تفكرين في الفارس الأشقر، أليس كذلك؟

– نعم لقد تبادلنا العهد بالأمس.

بقيت "روزموند" صامتة وقد أصابتها الدهشة. استطردت "كونستونس":

– أشعر بانقباض في قلبي. لا أعرف لماذا أتحرق شوقا لرؤيته وفي نفس الوقت أخشاها.

– هذا لأن هذه المعركة تؤثر فينا جميعا.

– ليس ذلك فقط. أشعر بأن شيئا مخيفا سوف يحدث ولا أعرف ماذا.

خرج "جيوم دو جولناي" من النفق كان رجال "توار" يتحاربون كالحيوانات الضارية. يجب أن تهرب السيدات عاد ليخرجهن.

تصاعدت صيحات الخوف ولكن الوقت يمر بسرعة. واخترقت السيدات وبعض الآنسات يصاحبهن بعض الرجال المسلحين القبو، وأخيرا خرجن إلى النور وتنفّسن الصعداء. إنهن الآن في سلام.

هيهات، إن رجال "بلانتاجينيه" يسيطرون على الغابة. صاحت "روزموند":

– يا إلهي، سنقع أسيرات.

زأر أحد الجنود:

– سيكون عليهم سحقنا أولا.

لحقهم بعض جنود "توار" وأحاطوهن ودافعوا عنهن في شجاعة.

كانت نتيجة المعركة ليست مضمونة خاصة وأن رءوس الفرسان الشجعان بدأت تقل في عددها.

صاح "جيوم دو جالناي":

– اهربي.

صاحت "كونستونس":

– لن أتركك يا أبي.

فجأة كالطوفان الجارف، اندفع نحوهما فارس أشقر تملك "كونستونس" إحساس كبير بالفزع فصاحت:

– "جيوفري دانتيني".

لمعت عينا الفارس الأشقر ذو العينين الزرقاوين رأى "كونستونس" وتردد ثم اندفع نحو المدافعين وهو يزأر كالأسد.

توقف قلب "كونستونس" وأغلقت عينيها: إن "جيوفري" يواجه "جيوم دو جالناي".

همست:

– يا إلهي، لا، ليس هو.

فتحت عينيها. "إن الفارس الشاب يتفوق بقوة وحماسة خمسة وعشرين عاما أما "جيوم" فلديه ميزة الخبرة. فزعت عندما رأت نافورة من الدماء تتدفق من ذراع الفارس الأشقر متألما بجرحه، هجم "جيوفري" على خصمه وبكل قوته غمس سيفه في الصدر القوي. انهار "جيوم دوجالناي" في بركة من الدماء وفي دفعة واحدة انطلقت إليه "كونستونس" وهي تبكي. وتصرخ.

– والدي، والدي، حدثني أرجوك.

مالت نحوه تقبل وجهه المغطى بالدماء وهي تصرخ كالمجنونة.

لم تكن لتعرف كم من الوقت بقيت على هذا النحو تحتضن جسد والدها الذي مازال دافئا. عندما رفعت رأسها كان "جيوفري" واقفا أمامها شاحبا.

قال:

– آنستي. ذكرى فعلتي ستعذبني حتى آخر يوم في حياتي. كنت أجهل أنني أحارب والدك، أعرف أنه لا توجد أي كلمة تستطيع أن تواسيك لهذه الخسارة الكبيرة. إني أتوسل إليك أن تسامحيني.

لقد قتل أعز مخلوق لديها في هذا العالم. لقد قتل والدها ويجرؤ على طلب العفو وكان ذلك ممكن. نظرت إليه في عينيه مباشرة.

– ارحل. إني أكرهك، أكرهك. ارحل يا "جيوفري دانتيني" عليك اللعنة.

الفصل الثاني

صعقته كلمات "كونستونس" جثا على ركبتيه وأحنى رأسه، كانت سيدات "توار" قد هربن فقط بقيت "روزموند" بجانب ابنة عمها. كانت واقفة صلبة ومتماسكة تنظر إلى جسد عمها.

لقد انتقلت المعركة إلى مكان آخر، ولم يبق في هذا المكان سوى "جيوفري" وبعض الرجال المسلحين.

قال الفارس الأشقر:

– سنقيم مراسم دفن دينية لوالدك.

www.rewity.com مـــر مـــور

رفعت "كونستونس" عينيها نحو "جيوفري" وظهر في مقلتيها لمعة عرفان دون أن يقلل ذلك من كراهيتها لـ"جيوفري". واعترفت في قرارة نفسها له بالجميل؛ لأنه لم ينصرف مباشرة إلى المعركة قبل أن يكرم السير "دو جلناي" الإكرام الأخير.

أمر "جيوفري":

– احفروا حفرة واستدعوا رجل الدين.

جاء رجل الدين على الفور واضطروا إلى رفع "كونستونس" بالقوة عن جثمان أبيها. كانت تردد في فزع وهي تهتز.

– أبي العزيز هذا مستحيل. لقد قتله، إني أكرهه.

خلال المراسم الحزينة بقيت ساكنة كأنها غائبة عن الوعي. ثم جثت على ركبتيها عندما وضع الكاهن صليبا من أفرع الشجر على القبر.

كان الرجال المسلحون يترددون في القبض على الآنستين لأسرهما. ومنعهم "جيوفري".

– دعوهما تهربان ولا يلمس أحد منكم شعرة من رأسيهما.

نظر مرة أخيرة إلى "كونستونس" في أسف ثم ابتعد، أمسكت "روزموند" يد ابنة عمها.

– تعالي. بسرعة.

استسلمت الفتاة الشابة بدون مقاومة. وجريا في الغابة على غير هدى. وتلاشت أصوات المعركة، تعبتا من العدو فجلستا على أرض كثيرة الحشائش.

– لن تستطيعي العودة إلى منزلك وتعيشي بمفردك.

بكت "كونستونس".

– أوه.. والدي.

انتظرت "روزموند" في صبر حتى تهدأ وقالت:

– سنعود إلى بيتي في "مونتليون" وستهتم والدتي بك، لكن قبل ذلك يجب أن نجد قرية، أحد ما يستطيع أن يساعدنا.

– ما فائدة ذلك؟ اذهبي، لا أريد أن أتحرك.

– هيا تشجعي. هل تعتقدين أن والدك كان سيحب أن يراك منهزمة هكذا؟

اقتنعت "كونستونس" وانتصبت. شيئا فشيئا بدا الإصرار على ملامحها.

– أنت محقة. إني خجول من ضعفي. أريد أن أظهر استحقاقي بحمل اسم عائلتي.

نهضت في عزم.

– لنرحل.

بدا في يد سارتا بمحاذاة الأشجار ووصلتا إلى طريق.

قالت "روزموند":

– لنسر في طريق مستقيم. وسينتهي بنا الأمر إلى أن نجد قرية.

واستمرتا في السير دون إبطاء.

قالت "روزموند":

– لنتوقف لحظة. لم أعد أستطيع، قدماي تؤلماني وأشعر بالعطش والجوع.

– لا، لنستمر.

قالت "روزموند" في نفسها ولم تعد تعرف ابنة عمها التي كانت فتاة جبانة ومدللة في الماضي تبدو كأنها من حديد، "هل حزنها على والدها، أم غضبها هو الذي يمنحها هذه الإرادة".

بشكل تلقائي استدارت لترى الطريق الذي قطعتاه. بعيدا شاهدت سحبا من الدخان.

قالت:

– انظري، "توار" تحترق.

استدارت "كونستونس" ورددت في صوت يشوبه الغضب:

– نعم، "توار" تحترق.

ضعفت "روزموند"، وتزودت "كونستونس" بالقوة لكليهما وسحبت ابنة عمها إلى الأمام. وأخيرا لاحظتا صفا من البيوت وأسرعتا الخطى حتى المنازل الأولى.

بسرعة التف حولهما مجموعة من الفلاحين الفضوليين. سأل أحد الرجال:

–من أنتما؟

أجابت "كونستونس" بصوت جاف:

– نحن قادمتان من "توار"، "بلانتاجينيه" أجلانا عنها والقصر يحترق.

رسم جميعهم الصليب في فزع. صاحت امرأة:

– أعداء "بلانتاجينيه" لا يجب أبدا أن نساعدهم. إن في ذلك خطرا كبيرا. اذهبا يا آنستان.

كان الآخرون قد ابتعدوا بالفعل. جاءت سيدة فلاحة قوية وقالت:

–أليس لديكم نخوة حتى تتخلوا عن هاتين المسكينتين؟ ألا ترون أنهما فاقدتا القوة؟ تعاليا يا مسكينتان لتأكلا شيئا ما عندي.

أدخلتهما في مزرعة فقيرة وأجلستهما إلى طاولة ريفية وقطعت لهما شرائح خبز. وفي منتصف الطاولة وضعت وعاء به حساء ساخن.

– ها هو بعض الطعام الذي يعيد لكما قوتكما.

غمست "كونستونس" الملعقة الخشبية الكبيرة في الحساء

وفجأة بدأت تبكي.

– هيا يا آنستي، لا يجب أن تبكي، ستعودين إلى منزلك.

قالت "روزموند":

– لقد مات والدها في المعركة.

نظرت الفلاحة إليهما في شفقة.

– يالها من مأساة! لا يكف فرساننا عن الحرب ألن تنتهي هذه المعارك أبدا ونعيش في سلام؟ ألا يشعرون بالسعادة إلا عندما يشعلون النار ويريقون الدماء في البلاد؟

أحاطت "كونستونس" بذراعها في حنان الأم وتحدثت إليها كأنها طفلة صغيرة.

– كلي قليلا ولا تستسلمي للحزن حتى لا تهلكي.

تأوهت "كونستونس" ومسحت دموعها وابتلعت الحساء في صعوبة.

– حسن.

قالت "روزموند":

– نحتاج إلى حصانين أو أية وسيلة لنقطع الطريق.

– أين تسكنان؟

– أسكن قصر "مونتليون" في "شوفيني".

– هذا المكان ليس قريبا. سأذهب لأحضر لكما وسيلة تعيدكما، لن أترككما أبدا في ضيق.

استسلم سائق العربة لتوسلات الفلاحة الطيبة وقبل أن يوصل الفتاتين. قضيا الليل في سرير مضيفتهما التي نامت في الإصطبل ورحلتا في الصباح. قبل المساء كانت أبراج قصور "شوفيني" على مرمى البصر. توقف السائق عند كنيسة "سان سيبولكر" عند أول المدينة. قال:

– هانتما قد وصلتما، ساعود.

صعدتا الشوارع الصغيرة. ووصلتا إلى مسكن "روزموند". كانت البوابة مفتوحة. أطلقت خادمة صرخة عندما شاهدتهما. قبل أن تجري لتخبر بوصولهما.

فجأة ظهرت سيدة نبيلة احتضنت "روزموند".

– يا إلهي ابنتي العزيزة. "كونستونس" معك، ماذا حدث؟ أين عمك؟

– أوه يا أمي إنه أمر بشع: لقد استولى "بلانتاجينيه" على "توار". ولقد لقي السيد "دو جالناي" حتفه.

– أخي. هذا فظيع.

سقطت مغشيا عليها. وعندما عادت إلى وعيها أخذت تبكي في حزن شديد وتحتضن "كونستونس".

– طفلتي المسكينة. ستبقين هنا. تعاليا لاعتني بكليكما. إخوانك في الصيد في غابة "موليار" بصحبة "جيرو دو فونتالفرين".

ساعدت الفتاتين على تغيير ملابسهما. كانت تسالهما عن التفاصيل وكانت متعطشة لكي تعرف كل شيء. وتقاطعهما من آن لآخر وهي تبكي وتتأوه.

أخيرا بعد الحمام وتغيير ملابسهما استعادت "كونستونس" و"روزموند" مظهرهما المعتاد.

– ها هم قد عادوا من الصيد.

دخل ثلاثة شبان في فرحة.

– أمي، لقد كاد "جيرو" يفقد صيده.

– إن "روزموند" هنا. وابنة عمنا.

أسرعوا يقبلون أختهم. واعترضتهم والدتهم.

– لقد حدث أمر مؤسف.

سأل "جيرو دو فونتالفرين".

– ماذا هنالك؟

وبقي مبتعدا في صمت. كان عمره حوالي ثلاثين عاما، شعره أسود وكثيف، ملامحه قاسية وينبعث منه سحر قوي، وحشي. منذ دخوله وهو ينظر إلى "كونستونس" نظرة ثقيلة وملحة جعلتها تشعر بعدم الارتياح. ومرة أخرى اضطرت "روزموند" إلى أن تروي المأساة. وعلى العشاء كانوا يعلقون على الأحداث.

كانت والدة "روزموند" تتألم وإخوتها يتخيلون المعركة، و"جيرو" جالس في مواجهة "كونستونس" وعيناه لا تغادرانها وهو يلتهم الطيور في شراهة.

خفضت الفتاة الشابة رأسها وهي تشعر بالضيق. بقيت غير مبالية بالاهتمام الذي كانت هدفا له متمنية أن يتركوها في سلام ولا يضايقوها بالأسئلة.

حاولت أن تحتفظ بسلوك مشرف، وعلى الرغم من ذلك، عندما وصلت "روزموند" إلى رواية المعركة التي أدت إلى وفاة السير "دو جالناي" لم تستطع "كونستونس" أن تحبس دموعها وانفجرت في البكاء.

قالت السيدة "دو مونتليون".

– لا يجب أن نتحدث عن ذلك أمامها.

همست "روزموند":

– هناك ما هو أسوأ، لقد عاهدت "جيوفري دانتيتي" على الزواج. وهو الذي قتل

انتفضت "كونستونس" وشحبت. صاحت:

– كفى. لا أريد أن أسمع هذا الاسم، إني أكرهه.

عندما سمع "جيرو" "روزموند" ضم قبضتي يديه وبدت القسوة على ملامحه وزأر في قوة:

– سأثأر لك يا آنستي. سأكون حاميك بذراعي هذه، سأقتل هذا الملعون "دانتيتي". اقسم لك.

انتزعت حماسة الفارس ابتسامة واهنة من "كونستونس" فتشجع وصاح:

– سأذهب للثأر في سعادة لكي أسعدك. الآن نحن اثنان نكرهه.

لمعت عيناه بقسوة شريرة حتى أن "كونستونس" ارتعشت. إن هذه القسوة الشريرة شيء يثير الفزع، إنها تكره "جيوفري" بالتأكيد ولكنها تكره الدم أيضا والموت والمعارك، إن كل ذلك لا تستطيع أن تحتمله. بدلا من أن تسعد لحماسة "جيرو" للثأر لها شعرت بالاشمئزاز. وفكرت: "ياله من كائن دموي"!

أرادت أن ينتهي العشاء بسرعة، كانت تريد أن تستريح بمفردها وتهرب من الأسئلة التي تلح عليها، و"جيرو" ذلك الفارس الدموي الذي يثير اشمئزازها. نهضت غير عابئة:

– أرجو المعذرة، إني متعبة وأريد أن أستريح.

– بالتأكيد يا طفلتي سأوصلك إلى غرفتك.

قالت "روزموند":

– أفضل أن تشاركني "كونستونس" غرفتي وألا تبقى بمفردها.

اعترضت "كونستونس":

– لا. حقا شكرا.

أصرت الأم:

– ابنة عمك محقة. سأكون أكثر اطمئنانا عندما أعلم أنكما

معا.

استسلمت "كونستونس"، لم يكن لديها القوة لتعترض أو تتناقش، إن رأسها يدور. ما الذي يهم بعد كل ما حدث؟

ذهبتا لتناما. انتهى الأمر بأن نامت "كونستونس" وهي تبكي. في وسط الليل استيقظت "روزموند" فزعة على صوت صرخة. كانت ابنة عمها قد نهضت تصرخ وتهز رأسها.

– "جيوفري" لا. لا. ليس أبي، "جيوفري".

كانت تلهث. هزتها "روزموند".

– استيقظي!

تحركت الفتاة الشابة ومرت بيدها علي جبينها.

– أين أنا؟ ماذا يحدث؟

– إنه كابوس، اطمئني. أنت بخير.

– رأيت سيفه أحمر من الدماء، كان هنا أمامي يطلب الصفح.

– اهدئي أرجوك.

عادت "كونستونس" إلى النوم شيئا فشيئا وكلمات ابنة عمها. تهدهدها.

*****

في الأيام التالية استعادت "كونستونس" قوتها. لقد مرت الصدمة الأولى، أرادت أن تبدو شجاعة وقوية في هذا الاختبار. لقد أفسدها تدليل والدها لها، والآن فصاعدا هي بمفردها ويجب أن تتحلى بالشجاعة والإرادة حتى تستطيع الحياة.

سلوكها الذي تميز بالاعتداد بالنفس قد أثار احترام الجميع لها. كان "جيرو" يأتي كل يوم يتسمر أمامها ولا يكف عن تأملها

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

بعينيه الشرهتين. كان وجوده ثقيلا بالنسبة لها مما دفعها لكي تقول له:

– "جيرو"، أقدر مشاعرك الطيبة ومحاولتك مواساتي، وعلى الرغم من ذلك، أفضل أن أبقى في عزلتي كي أبكي والدي.

عندئذ خرج الفارس عن صمته:

– آنستي الجميلة، أراك تتألمين وهذا يزعجني بشدة، هانت بمفردك في الحياة تحتاجين إلى رجل ليهتم بك. ليس عليك سوى أن تقبليني زوجا وسيحميك سيفي في أي مكان.

نظرت إليه في دهشة هل من الممكن أن يكون جادا في حديثه؟ هل هو وقت مناسب للتفكير في الزواج؟ إنه ينظر إليها كالأسد الذي يرصد فريسته. لم ترد أن توجه إليه إهانة، وحاولت أن تسيطر على شعورها بالاشمئزاز نحوه.

– الوقت مبكر جدا للتفكير في ذلك. مأساتي قريبة جدا شديدة الألم أيضا. أريد أولا.

قال في غضب:

– أعرف أنك تتحرقين للثأر. أقسم لك أنني ساحمل إليك رأس "جيوفري" كهدية لزواجنا.

تأوهت في فزع:

– اصمت.

– حسن، سأنتظر. لكن قولي لي إنك ستسمعينني عندما ساكون قد ثأرت لك منه ومن "بلانتاجينيه".

أذعنت "كونستونس" في سأم وفي ذات الوقت في مرح للتخلص منه، ورؤيته يبتعد.

بعد بضعة أيام عاد والد "روزموند" من مقاطعة "دو لامارش" حيث كان يسوي نزاعا. كان يجهل كل شيء وارتعد عندما علم

بهجوم "هنري بلانتاجينيه".

قال مفكرا موجها حديثه إلى "جيرو" الذي كان في زيارتهم كعادته:

– سيدفع ثمن التمرد غاليا. من ناحية زواجه بـ "آليونور داكيتان"، إنه في نفس قوة ملك "فرنسا" تقريبا. "لويس السابع".

قال "جيرو":

– إنه على الرغم من ذلك تابع له.

– نعم بالتأكيد، بالنسبة لمقاطعاته ودوقياته الواقعة في "فرنسا". ولكنه أيضا ملك "إنجلترا" ويتمتع بمساندة النبلاء. أخشى أن يصاب ذات يوم بجوع شديد هذا الأسد. "بلانتاجينيه" ذي الأسنان الضارية.

صاح "جيرو":

– ليذهب إلى الجحيم. بما أنه كذلك يجب إعداد العدة له. لقد تسبب في الكثير من الألم، لنهاجمه من خلال نقطة ضعفه.

أضاف وهو ينظر إلى "كونستونس" التي أشاحت بوجهها:

– أريد أن أحاربه حتى أحظى بقلب سيدتي.

بدت الدهشة على وجه والد "روزموند" ثم سأل:

– وما هي نقطة ضعفه؟

"آليونور" حبيبته الجميلة.

– "جيرو"، هل أنت مجنون؟

– على الإطلاق لقد كانت "آليونور" زوجة "لويس السابع" قبل أن تكون زوجة "بلانتاجينيه".

– كفى يا "جيرو". إذا وصلت كلمة واحدة من كلماتك إلى مسمع "بلانتاجينيه" فسيسوي قصرك بالأرض.

كانت "كونستونس" تسمع دهشة وقد اكتشفت كم العداء الذي يثيره ملك إنجلترا في نفوس أتباعه.

*****

مضت الأسابيع. عادت "كونستونس" في "شوفيني" إلى حياتها الطبيعية. حزنها في اللحظات السابقة الذي كان يبقيها حبيسة الغرفة قد تلاشى شيئا فشيئا. ولقد بذلت "روزموند" والآخرون قصارى جهدهم ليصرفوا تفكيرها عن مأساتها كانت الفتاتان تتنزهان في المدينة تثرثران وتتأملان المشاهد التي كانت تسعد "كونستونس" كثيرا. في قلب الصيف ذهبتا إلى حفل في القصر المجاور وسعدت "كونستونس" بمشاهدتها فقرات المهرج.

قالت "روزموند":

– هذه هي المرة الأولى التي أراك تبتسمين فيها منذ وقت طويل.

– إني أتحسن هذا صحيح.

– هل.. كراهيتك لـ..

– لا تعتقدي أنني نسيت هذه الكراهية، لم أعد أريد رؤية "جيوفري" إلا وهو ميت. ولكني في نفس الوقت لا أستطيع أن أعطي قلبي لآخر، و"جيرو" يثير سأمي.

– إنه يريد إثارة إعجابك، إنه يحبك.

– هيهات. كيف أفهمه؟ إنه على الرغم من جهوده لن يكون زوجي أبدا.

– إنه مقتنع أنه إذا ثار لك من "بلانتاجينيه" و"جيوفري" فستقبلينه.

– سيهدئ الوقت من حماسه. كلما زاد أملا في هذا السراب قلت مضايقته لي. ومن ناحية أخرى لقد تباعدت زياراته.

كانت محقة. فمنذ وقت بدا الفارس "جيرو" منشغلا جدا. واستمر في زياراته يترقب أقل علامة للتشجيع على وجه "كونستونس"، ولكنه كان يمكث وقتا أقل ويتغيب أحيانا مدة أسبوع. يبدو أنه يخطط لمشروع سري.

نحو منتصف شهر يوليو (حزيران) طلب مقابلة مهمة مع "كونستونس" ووالد "روزموند".. وافقت الفتاة الشابة على مضض وهي تخشى أن يتحدث من جديد عن رغبته في الزواج بها. لقد كانت مخطئة عندما اجتمع ثلاثتهم في أحد قاعات القصر. قال "جيرو":

– لقد اتفقت مع نبلاء الأنحاء. يجب أن يأتي "هنري بلانتاجينيه" إلى بلاطه في "بواتييه" حيث سيكون منشغلا جدا. الكاهن يقيم الآن بالفعل في "شوفيني" في قصره الباروني، وهو مجهد جدا حتى يتحرك وتعرفين جيدا كيف يكره "هنري الثاني" رجال الدين. وكذلك ستأتي "آليونور" بمفردها لزيارة الكاهن. وفي هذه الأسفار القصيرة تتحرك بدون حرس. سننتظرها بالقرب من غابة "سينبو" قبل "لافيان" حيث سنأسرها ونقودها إلى كونت "تولوز".

– ماذا تقول؟

– لن يرى الأسد "بلانتاجينيه" جميلته "آليونور" بعد ذلك. وإذا كان يريد أن تبقى على قيد الحياة يجب أن يسلمنا "جيوفري".

التفت نحو "كونستونس":

– بذلك سأكون قد وفيت بوعدي ولن تستطيعي رفضي كزوج لك..

عبست الفتاة الشابة لجرأته وبقيت صامتة. هز والد "روزموند"

رأسه. وقال:

– هذا جنون. سيكون رد فعل "هنري بلانتاجينيه" عنيفا. أخشى أن يصيبنا جميعا الأذى. يجب أن تتراجع.

– إني واثق بمساندة "لويس السابع" السرية، بدون "آليونور" لن يستطيع "بلانتاجينيه" مواجهته.

لم تفلح جهود والد "روزموند" في إقناع "جيرو" للعدول عن فكرته. هذا الهجوم الذي بدا من البداية غير معقول. بدأ يتحول إلى تصور معقول. وتزايد الأمل في نجاح الخطة كلما مضت الأيام و"جيرو" يستدعي كل حماسه القتالي. تضاعفت اللقاءات والزيارات بين سادة الأنحاء وسيطر الحماس على الفرسان وعلى "كونستونس" نفسها.

قالت "روزموند":

– يبدو أن "جيرو" لم يعد يروق لك.

– إني متأثرة بحماسه للثأر من أجلي. إذا وصل إلى هدفه فسينتزع من قلبي السيف الذي اخترقه في "توار".

– لم يفعل لك "هنري بلانتاجينيه" شيئا.

– كيف؟ إنه هو من أمر بالمعركة. أود أن أذهب وأقول له في وجهه. "لقد مات والدي بسببك، وبسببي ستفقد "آليونور". لم يكن "جيوفري" سوى ذراع "بلانتاجينيه" وأريد أن أرى الرأس يسقط وكذلك الأداة.

لاحظ "جيرو" اختلاف سلوك "كونستونس" نحوه، ولقد أثار ذلك شجاعته. جاء يوم تنفيذ الخطة وغادر "شوفيني" في سعادة. بقيت الفتاتان والأم والإخوة في القصر، وغضبت الفتاتان كثيرا عندما رفض الفرسان أن تلحقا بهم.

كان الانتظار طويلا. صعدت "روزموند" و"كونستونس" أعلى

البرج. حيث تريان الريف المحيط لتترقبا عودة المحاربين. سألتها "روزموند":

– ماذا ستفعلين إذا عاد "جيرو" منتصرا؟

– ربما سأضطر إلى قبوله زوجا بما أني على أية حال يجب أن أختار زوجا. العقل يقول لي أن أذعن ولكني أشعر بالاشمئزاز لفكرة أنني ساخضع لإرادته.

– إنه شاب جميل على الرغم من ذلك.

– لا أستطيع أن أحبه أبدا. وحشيته تفزعني.

لم تصر "روزموند" ولم تجرؤ على سؤالها إذا كان ذلك يرجع إلى إعجابها بـ"جيوفري"، وعلى الرغم من ذلك، كانت مقتنعة بأن القبلة التي تبادلاها قد أثرت في قلب ابنة عمها بعمق.

في المساء تصاعدت سحابة غبار من الطريق واقتربت مجموعة:

– ها هم.

– إنهم يجرون عربة.

– أتمنى ألا يكون هناك جرحى.

لم يكن في "جيرو" ورفاقه سوى بضعة خدوش ولكنهم كانوا عابسين.

قال "جيرو":

– آه الماكرة، لقد هربت منا.

– كيف ذلك؟

– كان يتبعها بضعة رجال فقط وفارس. أحطناها. كنا سنلحق بها لولا هذا الفارس الذي أخذ يلوح يمينا ويسارا بسيفه كأنه قد أصيب بمس من الشيطان، لقد كان وحيدا في مواجهة ثلاثين حتى سقط حصانه تحته، واستمر وهو على قدميه. لم نستطع إلا في إصابته بالجروح. ولم يعترف بهزيمته إلا عندما غطاه الدم. في هذه

الأثناء اختفت "آليونور".

كانت "كونستونس" تستمع وهي ترتعش: "لا يوجد سوى شخص واحد يحارب بهذه الطريقة. وهذه الشجاعة. إنه "جيوفري" من غيره يستطيع أن يواجه بمفرده ثلاثين؟"

سألت في اضطراب:

– وهذا الفارس؟ ماذا صنعتم به؟

– أردت أن أقتله ولكن منعني سير "دو مونتليون". سنسأله، لن يخسر شيئا إذا انتظر. لقد اصطحبناه في عربة.

ارتعشت "كونستونس" وهي تسأل:

– هل أستطيع أن أراه؟

نزلت السيدات وتراجعت والدة "روزموند" عندما رأت السجين:

– إنه غارق في دمه.

اقتربت "كونستونس" بدورها. شحبت وعلى الفور سقطت على الأرض مغشيا عليها.

أسرعت "روزموند" نحوها وقد فهمت، ونظرة واحدة أكدت مخاوفها.

– هل تعرفون من هو؟

هز الجميع رءوسهم بالنفي عندئذ قالت:

– هذا الجريح هو "جيوفري دانتيني".

الفصل الثالث

– "جيوفري دانتيني"!

أمسك "جيرو" سيفه بيديه.

– تبا! هذا ما يواسيني عن فقد "آليونور". سافي بوعدي، أوه

أيها البائس.

وثب إلى العربة فأمسكه السير "مونتليون":

– لا تضربه الآن. إنه ليس في وعيه.

تردد "جيرو" ثم أغمد سيفه.

– نعم أريده أن يرى من أين تأتي إليه الضربة حتى لا يكون موته هينا.

هرولت خادمة في يدها قطعة قماش مبللة وربتت "روزموند" جبين وخدي "كونستونس" التي عادت شيئا فشيئا إلى وعيها. نهضت الفتاة الشابة وسارت مباشرة إلى العربة وأبعدت "جيرو" بيدها. صمت الجميع.

وحملقت طويلا إلى الجسد الدامي الذي لم يكن سوى "جيوفري". أخيرا قطع "جيرو" الصمت. وقال:

– آنستي الجميلة هل عليّ أن أقتله أم تفضلين أن تقتليه بنفسك.

مد إليها يده بالسيف. بقيت متسمرة في مكانها صامتة وعيناها لامعتان ثم قالت:

– لنلق به في حفرة.

وفي خطى ثابتة توجهت إلى القصر.

كانت الأمسية كئيبة. وإذا كان "جيرو" سعيدا بانتصاره ومتأكدا من أنه قد حصل على قلب "كونستونس" بإحضاره "جيوفري دانتيني" لها، فلم يكن السير "مونتليون" يشاركه في سعادته.

– "بلانتاجينيه" سيستشيط غضبا وأشعر بالألم عندما أفكر في عائلتي.

– لكن الجميلة "آليونور" لم تتعرف على أحد منا.

– تمكن بعض رجال الحراسة من الفرار.

– إنهم لا يعرفون من نحن. في وطيس المعركة أي فارس له القدرة على التعرف على الآخر؟!

– "ودانتيني"!

ابتسم "جيرو".

– لا يوجد قلق من ناحيته. إن مصيره التعس هو الموت. بعد أن يحتضر في حفرة. إنني لم أتصور أبدا مثل هذا الثار الوحشي.

وهو يتحدث كان يرمق "كونستونس" بنظرة إعجاب. كانت صامتة ويبدو على جبينها القلق وقد وقعت فريسة لصراع داخلي عنيف. وعندما انتبهت إلى أنها موضع اهتمام ابتسمت. ورفعت قدحها.

– إني أشرب نخب شجاعة "جيرو".

كاد الفارس "جيرو" يترنح من السعادة.

– آه يا آنستي الجميلة، كم أنا سعيد اليوم، ولا يهمني كثيرا غضب "بلانتاجينيه".

تابعت "روزموند" هذا المشهد في دهشة.

في نهاية العشاء كانت دهشتها أكبر عندما رأت ابنة عمها تخفي قطعة خبز بين طيات ملابسها. وبمجرد أن واتتها الفرصة أخذت "كونستونس" بعيدا.

–ماذا هنالك؟ تبدين غريبة جدا. أعرف أنك تريدين الثار لوالدك، ولكن هذا وحشي أن تتركي "جيرو" يعذب "جيوفري" على هذا النحو. حتى الحيوان المفترس لا يستحق هذه النهاية.

– لن يموت.

فزعت "روزموند":

– لكنني كنت أظن..

زفرت "كونستونس" ووضعت يدها على قبضة يد ابنة عمها.

– إني لا أفهم نفسي، كنت أتمنى أن أراه هكذا يتألم بشدة، ومنذ قليل لم أشعر بأي سعادة، على العكس.

– هل شعرت بالشفقة نحوه؟

– لا، على العكس، لقد شعرت بعدم ارتياح، شعور غريب متناقض، لكني أعتقد أن لعنتي هي التي أصابته بكل هذه الجروح. سأذهب إليه في هذه الليلة عندما ينام كل من في القصر. وإذا علم "جيرو" ذلك فسيقتله من الغيرة، ولكي أخمد ريبته شربت نخب شجاعته.

– إذا عاش "دانتيني" فماذا سيحدث؟

– فكرت في ذلك، ولكني أريد أن أعرف أولا إذا كان نادما على فعلته.

قالت "روزموند":

– سأرافقك.

*****

عندما نام كل من في القصر تزودتا بمصباح وأخذتا الخبز وإبريق ماء وزجاجة شراب صغيرة وضمادات وعندما وصلتا إلى باب العربة همست "كونستونس":

– انتظريني هنا، أريد أن أكون بمفردي معه.

كان "جيوفري" ممددا على الأرض الرطبة يتأوه بصوت خافت. لقد كانت كتفه مصابة بشدة بسيف "جيرو" والدم ينزف من صدغه. ضعفه، وافتقاره للمقاومة أثار شفقة الفتاة الشابة. شعرت ببعض الحماس عندما رأته تحت رحمتها على هذا النحو. حياة أو موت الفارس الجميل تتوقف عليها.

بدأت "كونستونس" ترفع الملابس التي تغطي الجرح. أصدر تأوها واهنا. عندئذ في حركة جافة انتزعت ما يغطي صدره فصاح وتشبثت يده بملابسه.

توقفت. لقد لاحظت تحت درعه القطعة التي قطعتها من طرحتها وأعطته إياها في "توار". تأثرت "كونستونس" بشدة وأخذت القطعة الحريرية المخضبة بالدم. إنه لايزال يفكر فيها إذن؟.

في عناية نظفت الجرح الغائر في كتفه وربطته. وغسلت وجهه العابس من الألم وجففاه مغمضان وخصلات شعره المتموج الأشقر ملتصقة من الدم.

ثم رفعت زجاجة الشراب على شفتيه الشاحبتين. هز "جيوفري" رأسه وهمس:

- سيدتي هل هذه أنت؟

في شدة الاضطراب اقتربت منه "كونستونس" ومالت نحوه تمسح جبينه من العرق. تعلق بها وهمس:

- سيدتي، اهربي وسأحميك.. إن حياتي لك يا "آليونور".

"آليونور" وقع على مسمعها هذا الاسم كالصاعقة. وهي التي افترضت أنها لاتزال تشغل فكر "جيوفري"، وكادت تضعف في غضب مسحت دموعها، وعادت إليها كراهيتها مختلطة بشعور مختلط بالغيرة.

ردد الفارس بصوت مسموع بالكاد: تاركا يدها:

- "آليونور"، اهربي.

تراجعت وحملقت إليه بشدة. تحرك وفتح عينيه ورأى "كونستونس" ونظر إليها دون أن يتعرف عليها. بدا كأنه يبحث في عقله الذي يعود إلى العمل بشكل تدريجي. فجأة ومضت عيناه الزرقاوان وحاول أن ينهض.

- "كونستونس":

ثم سقط مغشيا عليه. انتظرت حتى يعود إلى وعيه وهي تقول:

- إنك حبيس، إنك في بيت عمي.

- إنه أنت إذن.. هذا الهجوم المفاجئ.. "آليونور"؟

- كن سعيدا، لقد استطاعت الفرار.

أخذت القماش الملطخ بالدم وأطلعته عليه ثم كورتها وألقت بها على الأرض وأشعلتها بواسطة المصباح.

- أرى أنه لا يشغل تفكيرك سوى "آليونور" ولا تستحق أن تحتفظ مني بهذا التذكار الذي أعطيتك إياه لحظة اندفاع.

حاول أن يعترض وأراد أن يتحرك ولكنه أصدر صيحة ألم ممسكا كتفه الجريحة.

همس:

- إنها لعنتك، أرجوك ارفعيها.

- لا. لأنك لم تظهر أي ندم، وإذا لم تستشعر هذا الألم فستتعرض لخطر عظيم.

- هل تلومينني لأنني مازلت على قيد الحياة؟

- إني الومك لأنك نسيت وعدك وأحببت أخرى. في هذيانك نطقت عدة مرات اسم "آليونور". كنت أعتقد أنك شجاع، ولكنك لست سوى مرتزق، وستعامل على هذا الأساس.

خرجت دون أن تسمع إجابته ووجدت "روزموند":

- الخائن يحب "آليونور داكيتان" إنه لا يستحق حتى الخبز الذي أحضرته له.

صعدتا في صمت إلى غرفتيهما. لقد أعدت والدة "روزموند" لـ"كونستونس" حجرة بجوار ابنة عمها تستطيع منها

أن ترى ريف "شوفيني". عندما أصبحت "كونستونس" بمفردها ألقت بنفسها على السرير. وهي تبكي من شدة الغضب كانت تخنق عنف المشاعر التي يجيش بها قلبها.

لقد قتل "جيوفري دانتيني" والدها وخانها، إن "جيرو دو فونتالفرين" محق. إنها هي "كونستونس" التي ستغمد السيف في صدره.

لكن ربما يسعد بأن يموت؟ أليس هذا هو المصير الطبيعي للفارس؟ إن الغيرة التي سكنت قلبها تصعد كالثعبان الذي يتلوى. سألت نفسها: "إلى أين ستذهب "آليونور"؟" منذ قليل تولد في ذهنها فكرة أن تطلب فدية مقابل حياة الفارس. والآن عادت إليها الفكرة ولكن بشكل مختلف. فكرت في مدى الإهانة التي سيشعر بها "جيوفري" عندما يساق أمام "آليونور" وهو مكبل اليدين. يعتلي حمارا ووجهه إلى خلف الدابة.

في اليوم التالي أخبرت "جيرو دو فونتالفرين" والسير "دو مونتليون".

– هذه الليلة زرت سجيننا.

زمجر "جيرو" في غضب. فأوقفته بإشارة:

– لا تخش شيئا، الضعف ليس من سمات قلبي. أردت أن أواجهه بمفردي الذي اختطف والدي الحبيب. لقد فكرت في أن الموت سيكون شيئا بسيطا بالنسبة له، وأريد ما هو أكثر من ذلك حتى أطفئ ضغينتي.

صاح "جيرو" الذي بدا مستاء جدا لهذه المقابلة الليلية:

– وماذا إذن؟

– فدية، وعندما كان فاقدا الوعي همس باسم "آليونور" وهو يدعوها سيدتي. إنها إذن تقدره بما هو أغلى من الذهب. قد

تقدره بألف سبيكة من الذهب.

انتفض الجميع عند سماع هذا المبلغ. فكر والد "روزموند" بصوت مرتفع:

– ستُدفع الفدية. لا يستطيع "هنري بلانتاجينيه" أن يمتنع عن دفع أي مبلغ لتحرير أحد فرسانه على الرغم مما سيسببه له دفع ألف سبيكة ذهبية من اضطراب، وهو ليس بخيلا.

صاح "جيرو":

– لكن هذا لن يعاقب "جيوفري دانتيني"، أن يدفع فدية من أجل حياته ليس عقابا.

– هذا ليس كل شيء. أريده أن يفقد شرفه كفارس وأن يفقد كرامته أمام "آليونور داكيتان". في البداية سيساق على حمار يرتدي ملابس الفلاحين. أريد أن أحضر لحظة تجريده من لقبه على الملأ وأن تنتزع منه أسلحته ويكسر سيفه.

بقي الرجلان لحظة صامتين من الدهشة ثم قال "جيرو" في فرحة:

– يا إلهي! لقد فهمتك. إنها فكرة جيدة.

قال والد "روزموند" مفكرا:

– إنه أقصى العار، لا يستطيع أي فارس أن يحيا بعد ذلك.

قالت:

– سأذهب بنفسي في طلب هذه الفدية، إنني أنا من أهانها "جيوفري دانتيني".

كان في صوتها تصميم بالغ. كانت تعرف أنه من الخطر مواجهة "بلانتاجينيه" وتفهّم الرجلان ذلك وأذعنا لقرارها.

قال "جيرو":

– اسمحي لي فقط أن أرافقك حتى أكون إلى جوارك إذا

احتجت إلى المساعدة.

إنه على الأقل مخلص لها. قبلت عرضه. قررت ألا ينتظروا شفاء "جيوفري دانتيني": الملك يتنقل بدون توقف، كان من الأفضل الذهاب للقائه في "بواتييه" التي على مقربة منهم.

*****

بعد بضعة أيام، رحل الاثنان ووقفا أمام قصر "بواتييه".

قال "جيرو" للحراس:

– جئنا لمقابلة الملك "هنري بلانتاجينيه" لدينا رسالة مهمة من أجله.

كان يجب أن يتحليا بالصبر؛ لأن الملك لا يقابل أي شخص هكذا. أدخلوهما قاعة كبيرة من القصر. وبهرت "كونستونس" لفخامة الحوائط وثراء الأثاث والسجاجيد. أمامهما كان الملك "هنري بلانتاجينيه" يرأس بلاطا كبيرا، إلى جواره تجلس سيدة رائعة الجمال ذات شعر طويل لامع تبتسم. ويجثو على ركبتيه شاعر بالقرب من قدميها.

من يراها ترقص
وقوامها الرشيق يدور
يقول في الحقيقة
إنه لا توجد امرأة تماثلها
ملكة الفرحة

شعرت "كونستونس" بوخزة في قلبها. إنها لم تر أبدا امرأة في جمالها. يتوجها حب "هنري"، وينبعث منها إشراقة مبهرة. أدركت الفتاة الشابة أن "جيوفري" لابد أن يكون قد فتن بجمال هذه المرأة وعضت الغيرة قلبها.

أشار "هنري بلانتاجينيه" إليهما بالاقتراب. تقدما وانحنيا.

– سيدي، أنا "جيرو دو فونتالفرين" وهذه الآنسة هي ابنة السير "دوجالناي" قتل والدها في "توار" بسيف "جيوفري دانتيني"، و"جيوفري" الآن محبوس لدينا، ونطلب منك مائة سبيكة ذهبية لتحريره.

لاحظت "كونستونس" اضطراب "آليونور". ساد الصمت حولهم وقد سيطرت عليهم الدهشة. تغير وجه "هنري" وقرأ الغضب في عينيه الرماديتين.

– ستدفع ثمن وقاحتك. فرا من أمام عيني الآن.

– سيدي، سيموت "جيوفري دانتيني" إذا رفضت دفع المبلغ.

تحول الملك إلى اللون القرمزي.

– أيها الوقح، سأقطع رأسك وأسوي قصرك بالأرض.

– سيدي، تستطيع أن تفعل ما يحلو لك، وسيكون "جيوفري دانتيني" أول الهالكين.

نظر "هنري" إلى "جيرو" في اهتمام:

– أنت لا تنقصك الشجاعة. سأتحدث في ذلك مع "آليونور".

وأشار إليهما بالابتعاد.

تدخلت "كونستونس":

– سيدي.

نظر إليها الملك في دهشة.

– سيدي، أريده أيضا أن يجرد من لقبه كفارس أمام كل بلاط القصر وتحت عينيك.

سادت الدهشة الجمع. قال "هنري الثاني" في حدة:

– هذا عار. لن أخضع أبدا لمثل هذا الطلب.

– إذن سأتركه يحتضر وأخبره أن مليكه قد تخلى عنه.

نظر "هنري الثاني" إلى "كونستونس" في اهتمام.

– هل كراهيتك له بهذا العمق؟. سأدرس ذلك.

تراجع "جيرو" و"كونستونس" وانتظرا قرار الملك. في هذه الأثناء كان الملك و"أليونور" يتناقشان بصوت منخفض وقد استولت عليهما الدهشة لغرابة ما سمعا، أخيرا طلبهما الملك أمامه وقال:

– حياة "جيوفري دانتيني" تساوي عندي أكثر من مائة سبيكة ذهبية؛ لذلك سأدفع لكما المبلغ مقابل تحريره. ولكن في مقابل ما طلبته الآنسة مما سيجلب له عارا لا يعوض، لي أنا أيضا طلب. أن تبقي رهينة في القصر حتى عودة السير "دانتيني" إذا وافقت فسيتم تحريده من القابه أمامها أيضا.

قبل أن يستطيع "جيرو" أن يعترض أجابت "كونستونس":

– ليكن.

– متى يستطيع "جيوفري" أن يصل إلى هنا؟

– إنه مجروح بشدة الآن. بمجرد أن يصبح في حال تسمح بنقله خلال شهر تقريبا.

– سأنتظره إذن في قصري في "نيور". اذهب.

رحل "جيرو" وقاد أحد الفرسان "كونستونس" إلى برج القصر الذي رمقها بنظرة عميقة من الاحتقار وقال:

– سنحسن معاملتك. هذا أمر مليكنا وهذا ما يؤسفني لأني لم أر مثل وقاحتك. باسا لمن سيكون زوجك.

بقيت عدة أيام محبوسة في البرج. لم تشعر بضير في ذلك. كانت تبقى ساعات طويلة في النافذة تتامل الريف.. وكانت تستدعي بدون سأم مشهد "جيوفري" غارقا في دمه ومقتل والدها بينما تتواصل كراهيتها لـ"جيوفري دانتيني".

لن تستمر إقامتها في "بواتييه"، سيرحل "هنري بلانتاجينيه" وبلاطه إلى قصر "لود" بالقرب من "مانس".

رحلت معهم "كونستونس" ونظرات الاحتقار تحيط بها.

قالت في نفسها: "لا يهم ما يظنون بي، المهم أن أثار".

في قصر "لود" بدأ الجميع يتحركون في نشاط كبير. يبدو أنهم يعدون لحدث مهم.

سألت "كونستونس" إحدى السيدات:

– ماذا يحدث؟

أشاحت هذه الأخيرة بوجهها ولم تجبها.

وعرفت الفتاة الشابة من خلال الأحاديث التي تطايرت إلى مسمعها. أن هناك لقاء قريبا بين "هنري بلانتاجينيه" وملك "فرنسا" "لويس السابع".

ستكون هناك رحلة أخرى. فكرت "كونستونس" في أن "جيوفري" لابد أن يكون قد استرد عافيته. إنهم في الخريف الآن. من الواضح أن "هنري بلانتاجينيه" قد غير خططه ولن يمر على "نيور".

في "مونت سان ميشيل" شاهدت رجلا يوحي بالمهابة والاحترام. سألت:

– هل هذا هو ملك "فرنسا"؟

أجابت إحدى الوصيفات:

– نعم، إنه هو.

استمرت الرحلات. وجاء الوقت الذي يتوجه فيه "هنري بلانتاجينيه" إلى "شيربورج" لأعياد الميلاد. وبدت الأيام طويلة الآن بالنسبة لـ"كونستونس". وبدأ العداء الذي يشعر به بلاط الملك تجاهها يقل شيئا فشيئا، وبدأ جمالها يلفت انتباه فرسان

www.rewity.com

"بلانتاجينيه".

بمناسبة أعياد الميلاد سمحوا لها بالاشتراك في الاحتفالات. في سعادة استطاعت الاختلاط بالبلاط وسماع الأغاني وضحكات المهرجين. اقترب نحوها أحد الفرسان عندما رآها وحيدة.

– آنستي، أنت جميلة جدا، حتى لا تبقين وحيدة هكذا أشعر برغبة كبيرة في أن أقبلك.

أخذها بين ذراعيه وضمها نحوه وحاولت أن تتخلص من قبضته.

– اتركني.

ضحك:

– أنت متوحشة، أحب ذلك.

حاول أن يقبلها وهو يضمها بشدة. قاومته دون جدوى فقررت أن تستخدم الحيلة، تظاهرت بأنها قد استسلمت له وبمجرد أن شعرت بقبضته قد أصبحت أقل شدة تخلصت منه في خفة.

– أوه يا جميلتي، لن تفلتي مني أبدا.

مضت لحظة الدهشة وانطلق يلاحقها. جرت على غير هدى وفتحت أحد الأبواب وتسلقت درجات سلم تبعه ردهة مظلمة. أدت إلى حجرة ضيقة مضيئة. تنفست الصعداء وأدركت أنها قد دخلت في ممر خفي أمامها، وجدت بابا ضيقا. أرادت أن تخترقه دون أن تستطيع أن تلتفت خلفها خشية أن تقع على الفارس الذي يطاردها. فجأة سمعت أصواتا من الجانب الآخر من الباب. إنه صوت "بلانتاجينيه" القوي.

– بعد هذه التمثيلية التي جرت في "مونت سان ميشيل" اقتنع "لويس السابع" بانني أكثر ولاته وفاء وإخلاصا له، وانني أعز

أصدقائه ولن يتشكك في شيء.

أجاب محدثه المجهول:

– يجب أن نعتمد على عنصر المفاجأة.

– من الشهر القادم سنرحل إلى "أكيتان" واستثير حلفائي. وفي "إنجلترا" سيجهز "بيكيت" لي الأموال والجيش.

– متى ستهاجم "تولوز"؟

– في الربيع. ساجمع جيشي أولا. وسيثير ذلك ذعر "لويس السابع".

استمعت "كونستونس" في دهشة. إن "هنري" يريد إذن أن يستولي على "تولوز" من "لويس السابع". لقد كان والد "روزموند" محقا: "إن للأسد أنيابا طويلة".

فجأة لمس شيء ما رأس الفتاة الشابة، إنه خفاش على الأرجح. لم تستطع أن تمنع نفسها من الصراخ.

صاح "بلانتاجينيه":

– ماذا هنالك إذن؟

دقت خطوات وفتح الباب. اكتشف الملك وجود "كونستونس" التي التصقت بالحائط.

– تبا لك. كل الخيانات أنت سببها إذن: هل كانت لك الوقاحة حتى تتجسسي علي؟ يا لك من فتاة ماكرة. ستلقين المصير الذي تستحقين.

جذبها بعنف إلى الحجرة المجاورة وكان المتحدث المجهول قد اختفى. نادى الملك على الفور أحد رجاله.

– قودوها إلى إحدى الحجرات المنعزلة.

*****

www.rewity.com

في هذة المرة كانوا يعاملون "كونستونس" كانها سجينة حقيقية. وضعوها في زنزانة مظلمة ورطبة. في هذا المكان فكرت في مصير "جيوفري دانتيني" القريب من مصيرها وقدرت الألم الذي يعانيه. وشعرت بوخزة ندم. هل حقا رغبتها في الثار لوالدها هي التي دفعتها إلى طلب تجريد الفارس من لقبه؟ ألم تتصرف على هذا النحو بدافع الغيرة عندما ضمنت أنه يحب "آليونور داكيتان"؟

هل كان من حقها أن تدينه وهو لم يفعل سوى أداء واجبه كعسكري؟ لقد تشككت في نفسها.

في شهر يناير (كانون الثاني) رحل "هنري الثاني" وبلاطه إلى "أكيتان".. توقف في "بواتييه". كانت "كونستونس" تتبعه ولكن حبيسة ومعزولة تماما عن العالم الخارجي.

في يوم بارد جاء الحراس يقودونها إلى الحجرة العلوية من البرج التي تعرفها جيدا.

قال أحد الحراس قبل أن يتركها وحيدة:

- الملك "هنري الثاني" يفي بعهده، من هنا تستطيعين أن تري ما جئت من أجله.

من البرج تستطيع أن ترى الطريق المؤدي إلى القصر. موكب غريب يتجه إلى أسوار القصر: فارس يجر حمارا يعتليه رجل في ملابس الفلاحين ووجهه متجه إلى ظهر الحمار.

انقبض قلب الفتاة الشابة تعرفت على "جيرو" الذي يقود "جيوفري دانتيني". وبدلا من أن تشعر بالسعادة لأنها نفذت ما سعت إليه شعرت "كونستونس" بعدم ارتياح ممتزج بالخجل.

الفصل الرابع

عندما دخل "جيوفري دانتيني" القصر وهو يعتلي الحمار التف كل فرسان "بلانتاجينيه" حوله يظهرون فرحة كبيرة بعودته وفي نفس الوقت بخجل كبير لرؤيته على هذا الحال. ساعدوه على النزول.

كانت "كونستونس" تشاهدهم من أعلى البرج. تصورت كم يتألم الآن. وأسفت لأن "آليونور" ليست هنا. إن هذا سيقلل من حجم الانتقام. واعترفت "كونستونس" لنفسها بأن دافعها الوحيد هو الغيرة، وشعرت بأن والدها لن يكون راضيا عنها لأن المعركة التي دارت بينه وبين "جيوفري" كانت معركة نزيهة. لو لم ينطق باسم "آليونور". ربما كانت تستطيع أن تسامحه.

أشار أحد الفرسان إلى "جيوفري" الذي رفع عينيه نحو البرج. تستطيع "كونستونس" أن تراه بوضوح وهو يبدو في صحة جيدة وربما يكون شاحبا قليلا، نظر إليها وفي عينيه لوم صريح. كانت عيناه تقولان:

- "لماذا" هل أستحق منك ذلك؟ لتكن كراهيتك لي، ولكن لماذا تلحقين بي هذا العار؟

لم تستطع أن تحتمل وابتعدت عن النافذة وهي تشعر بأنها مذنبة. إن نظرته تحرقها.

لم تجد الراحة في يومها وليلها. وزاد من ألمها وجودها حبيسة في قصر "بلانتاجينيه" كل هذه الأسابيع. وكان في نفسها صوت داخلي يهمس لها بأن الفارس الأشقر قد نال ما يكفي من العقاب.

وفكرت في أن تجريد الرجل -الذي وعدته على أن يكون حبها الوحيد ذات يوم- من لقبه، أليس في ذلك تجريد لها هي نفسها

www.rewity.com

من مكانتها الاجتماعية؟ وعادت إليها كلمات "هنري الثاني": "كل الخيانات أنت إذن سببها".

توردت وشعرت بأنها قد اقترفت خطأ كبيرا.

ثم تخيلت "جيوفري" وهو ينظر إليها في كراهية ويلعنها بدوره، وهذا ما تسبب لها في ألم كبير. أدركت أنها أول من سيتألم من إلحاق العار بالفارس.

في اليوم التالي استدعاها "هنري الثاني". كان الملك بمفرده في حجرته. تقدمت في خجل وانحنت أمامه.

كان "هنري الثاني" جالسا على عرشه. وشعره الأحمر يلمع على رأسه المرفوع في كرامة كأنه تاج. نظر إلى "كونستونس" في حدة. وقال لها:

– "كونستونس دو جالناي" هل أنت مصرة على طلبك؟ لقد حرصت على أن تشاهدي "جيوفري" وهو قادم بهذه الطريقة المخجلة. أليس هذا كافيا؟

تمتمت:

– لقد قتل والدي.

– نعم بالتأكيد، ولكن في معركة نزيهة. لقد كان يدافع عن مليكه ضد والٍ متمرد. هذا واجبه ولا يبرر العار الذي تريدين أن تلحقيه به.

بقيت "كونستونس" صامتة. إن كلام الملك لا ينقصه العدل، وتذكرت أن والدها لم يكن ليقول غير ذلك. استطرد الملك:

– لقد أوفيت بكلمتي ولن أتهرب منها، ولكن هل تستطيعين أن تعدلي عن طلبك بتجريده من لقبه؟

خفضت رأسها. ألم تفكر هي نفسها في هذه الليلة في أن تدمير كرامة الرجل الذي تحبه هو تدمير لكرامتها هي نفسها؟

ولكن كيف تتراجع دون إثارة سخرية الجميع؟ وسيظن أهلها أنه جبن من ناحيتها، وكبرياؤها يرفض ذلك.

وكان "هنري بلانتاجينيه" قد قرأ أفكار "كونستونس". وبصوت لطيف قال لها:

– لا يستطيع أحد أن يلومك إذا تصرفت وفقا لقوانين الفروسية. إذا أردت ثأرا لموت والدك فعلى "جيوفري دانتيني" أن يواجه واحدا من أهلك. ستتم هذه المواجهة.

سألت "كونستونس" نفسها (ضد من؟) فكرت في "جيرو دو فونتالفرين"، لكن أن تطلب منه هذه المواجهة هذا يعني أنها قد اختارته زوجا لها وهذا مستحيل.

أجابت:

– سيدي، ليس لدي بطل.

ابتسم "هنري الثاني" ابتسامة لها مغزى وقال:

– لا تأسفي إذن إذا وجه إليك أحد كلمة لوم على تصرفك الذي جعلك أنت الخاسرة في أعين الآخرين، وتراجعي عن طلبك تجريد "جيوفري" من لقبه.

قالت لنفسها: "احتقار مبرر". إن كلمات الملك لم تقدم لها الحل الذي تتمناه: أن تتجنب إلحاق العار بـ"جيوفري" دون أن تفقد ماء وجهها. رفعت رأسها ونظرت إلى "هنري الثاني" في عينيه:

– لقد عدلت عن طلبي يا سيدي.

في هذه المرة ابتسم الملك ابتسامة صريحة نهض ووضع يده على كتف الفتاة الشابة.

– إني سعيد لذلك. بصراحة لن أستطيع أن أتركك تذهبين وقد سمعت خططي السرية، ولكن إذا تعهدت لي بعدم محاولة

www.rewity.com

الهروب فسنعتبرك واحدة من سيدات الحاشية الملكية.

همست "كونستونس" متأثرة:

– لن أرحل أبدا، وأشكرك يا سيدي على كرمك.

*****

بعد هذه المقابلة مع "هنري بلانتاجينيه" تغير كل شيء بالنسبة لـ"كونستونس". واختفى العداء الذي كانت الحاشية تعاملها به.

في نهاية المقابلة استدعى الملك أحد الحراس وهمس له ببعض الكلمات. هز هذا الأخير رأسه وقاد "كونستونس" ليس إلى محبسها ولكن إلى إحدى حجرات القصر. هناك قال لها:

– أمر الملك بأن نقدم لك ملابس مناسبة لأنه سمح لك بالظهور في بلاط القصر منذ هذا المساء. هناك خادمة تحت أمرك اطلبي منها ما تريدين، لقد أوصى الملك بتلبية كل طلباتك.

استطرد الرجل الشاب بصوت منخفض:

– أشكرك يا آنستي لقد عرفت من الملك أن "جيوفري" لن يتعرض لهذه الإهانة التي كان جميعنا يتألم بسببها مقدما. ذلك لأنه أكثر الفرسان شجاعة وكلنا معجبون به، من الآن فصاعدا يمكنك الاعتماد علي، ولك إخلاصي إلى الأبد.

قبل أن تجد الوقت لتعود من دهشتها كان الحارس قد رحل. ودخلت خادمة ناضجة وذراعاها محملان بأشياء ثمينة. فردت على السرير فساتين كلها من الحرير ومطرزة بالذهب والفضة.

– اختاري يا آنستي:

ثم مدت إلى الفتاة الشابة مرآة، فدهشت "كونستونس" لمظهرها الذي فقد كل بريقه.

صاحت:

– يا إلهي! إنني بشعة.

ضحكت المرأة.

– لا تنزعجي يا آنستي، لدي ما يجعلك أكثر جمالا من الماضي.

اقتربت وهمست:

– آنستي، لقد أخبرني الحارس بأمر الفارس "دانتيني" أنا أيضا سعيدة جدا. شكرا..

إذن حتى هذه الخادمة البسيطة قد عرفت، تأثرت بقضية "جيوفري" هل إلى هذا الحد يحبونه؟! في هذه اللحظة أدركت "كونستونس" كم كانت تبدو بشعة في أعين الجميع.

بعد حمام ساخن ارتدت الفتاة الشابة فستانا بلون النبيذ مما أبرز جمال عينيها الخضراوين وشعرها الأشقر، وحزاما مناسبا يزينه حلية ذهبية. دلكت الخادمة وجهها وضفرت شعرها وأخرجت من جيبها علبة صغيرة.

– هذا الشيء سيجعلك تبدين جميلة.

– ما هذا؟

– منتج أحضرته الحملات الصليبية من الأراضي المقدسة. يبدو أنه بفضل هذا الشيء تستطيع النساء هناك أن تسحر الرجال. عدة فرسان قد أحضروه لزوجاتهم ومليكنا يهديك هذا.

وعندما وضعت المنتج السحري على جفنيها ونظرت إلى المرآة. لم تتعرف على صورتها الحزينة المتعبة التي أفزعتها منذ قليل. كانت ضفائرها تلمع مثل حقول الشعير تحت طرحتها الرقيقة ولنظرتها عمق سحري. راقبت الخادمة رد فعلها.

– هذا ساحر.

ضحكت المرأة في سعادة.

www.rewity.com

– هانت مستعدة، تعالي، ستبهرين البلاط الملكي.

نزلت "كونستونس" إلى القاعة حيث الاحتفال، وعندما دخلت أثارت همسات الإعجاب، كان النبلاء والفرسان قد اتخذوا مقاعدهم حول طاولة كبيرة على شكل حدوة الحصان. ولفت انتباهها بين كل هؤلاء شخص واحد قد شغل مكان ضيف الشرف بجانب "هنري الثاني". إنه "جيوفري دانتيني". الصعوبات التي مر بها قد أضافت رقة على ملامحه.

تقابلت عيونهما. قرأت في عينيه الزرقاوين عتابا مؤلما شعرت بالخجل فخفضت رأسها وجلست في المكان الذي خصص لها على طرف المائدة.

الأواني الفضية تلمع على المفارش البيضاء. رفع الملك.. كأسه الذهبية.

– يا أصدقائي. لنشرب نخب فارسنا العائد، فارسنا المحبوب "جيوفري دانتيني".

صاح جميع المدعوين:

– نخب "جيوفري".

دخل الخدم يحملون الأطباق الشهية الفاخرة، مال الفارس الذي يجلس إلى جوار "كونستونس" نحوها.

– لقد أظهرت أنك تحملين قلبا نبيلا عندما تراجعت عن انتقامك من "جيوفري"، أهنئك على ذلك.

–لقد أبعدتني رغبتي في الانتقام عن التعقل وأدركت في الوقت المناسب أنني مخطئة.

– لقد كان في الوقت المناسب حقا.

أشارت "كونستونس" بذقنها إلى "جيوفري" الذي كان يأكل في شهية. وسألت:

– هل عرف أنه كان يجب أن يتجرد من لقبه؟

– لا لحسن الحظ. إن وصوله بهذه الطريقة المخجلة قد جرح كرامته بشدة. ولزمه كل اهتمام الملك حتى يزيل عنه أثر ذلك. كان يريد أن يختفي بعيدا عن الأنظار ولم يقبل الحضور إلى هذا العشاء إلا تحت إصرار الملك "هنري الثاني".

– لابد أنه غاضب مني كثيرا؟

– بدون شك، ولكن أليس هذا ما كنت تتمنين؟

صمتت ونظرت إلى "جيوفري" خلسة. كم كان جميلا. إنه هو أول من همس في أذنها بكلمات الحب.

ارتعشت: إن "جيوفري" يتحدث مع "آليونور داكيتان". على الرغم من بعدها عنه استطاعت أن تلاحظ نظراته الهائمة في حب "آليونور"، ولاحظت أيضا ابتسامة "آليونور" الحانية إليه. إن كلماته التي سمعتها في "مونتليون" قد تأكدت إذن. إنه مثل كل الآخرين هائم في حب مليكته.

لم تعد "كونستونس" ترغب في الطعام. وقالت لنفسها إنه من الآن فصاعدا لا يوجد شيء بينها وبين "جيوفري".

سألت نفسها: "لماذا "آليونور" منبهرة إلى هذا الحد؟" على الرغم من أن الجميع يعرفون أنها تحب الملك "هنري الثاني" ولا أحد سواه.

جاء المداحون والمهرجون ليضفوا البهجة على السهرة وعمت الفرحة المكان كله: لقد أعادت عودة "جيوفري" السعادة على وجه الجميع. "كونستونس" كانت الوحيدة التي لم تشترك تماما في هذه الفرحة العامة بسبب ما تشعر به من اضطراب.

فجأة رفعت "آليونور" يدها آمرة بالصمت وبصوتها المتناغم قالت:

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

– "جيوفري" الجميل، يسعدني أن تغني من أجلي لأني أعرف أنك تستطيع أن تغني أجمل من هذا المداح.

ابتسمت الملكة ابتسامة ساحرة وخزت "كونستونس" في قلبها. نهض الفارس الأشقر وانحنى في احترام وأمسك القيثارة ونظر إلى "آليونور" وغنى في عذوبة.

عندما أراها
تكشف عيناي ووجهي
عن الاضطراب الذي يلم بي.

بالنسبة لـ"كونستونس" كانت كل كلمة تسبب ألما كبيرا لها بقدر ما بها من صدق. عدة مرات وصل إلى مسمعها همسات بأن الملكة تحب مرافقة الفرسان الشبان. بين الفارس ومليكته ماهو أكثر من الإعجاب وكان ما تبقى من السهرة عذابا بالنسبة للفتاة الشابة.

في اليوم التالي أضاءت شمس الشتاء الريف. أصبح لـ"كونستونس" حرية الحركة فراحت في نزهة. استندت إلى أحد الأشجار مفكرة ماذا تفعل "روزموند" الآن هي وأسرتها؟ هل هم في الصيد؟ استرجعت النزهات الجميلة التي كانت تقضيها مع ابنة عمها. وزفرت، هل ستراها يوما ما؟

شعرت بوجود شخص ما خلفها. التفتت وفزعت. إن "جيوفري دانتيني" هنا بوجه عابس. لم تجرؤ على النظر إلى وجهه. فخفضت أنفها. أمسك كتفيها وأجبرها على رفع رأسها.

– إنك السبب في أكبر إهانة تعرضت لها في حياتي.

– أراد "جيرو دو فونتالفرين" أن يقتلك.. وأنا

– كنت أفضل الموت. تعرفين مدى قسوة ما تعرضت له من إهانة. لن أسامحك أبدا على ذلك. لماذا أردت ذلك؟

ارتعشت "كونستونس" عندما فكرت فيما كان سيشعر به إذا جرد من لقبه. ردد "جيوفري" في قسوة.

– لماذا؟

– لقد خنت العهد الذي بيننا. إنك تحب "آليونور" هل تعترف بذلك؟ لقد لاحظت نظراتك لها أثناء العشاء، همساتك وأغنيتك..

– هذا إذن.. أنت مخطئة.

إنه يتحدث دون اقتناع، عيناه تقولان ذلك، فكرت في غضب، إنه يفكر في "آليونور". كانت تريد أن تسمع اعتراضه على ما تقول. ولكنها لم تجد منه سوى شروده في حلم أخذه بعيدا عنها. مغتاظة قالت في إصرار:

– في "شوفيني" كنت تحارب كالأسد لتدافع عنها. أنت مستعد لدفع حياتك فداء لها. لقد فتنتك، هل هي ساحرة؟

قاطعها "جيوفري" بصوت جاف:

– اصمتي. إن نبل روحها وجمالها يمثلان رمزا يسعى إليه كل فارس ويتمناه، إنها الكمال نفسه. إني أكن لها احتراما لا ينتهي. ذلك الاحترام الذي أدين به لزوجة مليكي، وأمنعك من الاعتقاد في أني أستطيع أن أشعر تجاهها بشعور آخر ضد الوفاء والإخلاص..

أكثر من الكلمات، أصاب الحماس الذي تكلم به "جيوفري" "كونستونس" بألم شديد. إنه يعبر عن مدى تعلق قلبه بمليكته.

قالت لنفسها في مرارة: "هل أنا رخيصة إلى هذا الحد في عينيه؟ هل اجتذبه نحوي فقط حماس المعركة؟ كيف استطعت أن أحبه؟" واعتراها شعور شديد بالألم، وتحولت إلى حيوان جريح يدافع عن نفسه بأي طريقة. قالت:

– كنت أريد أن أعرف باي وجه كنت ستنظر إلى "آليونور" إذا تم تجريدك من لقبك؟

عند سماعه هذه الكلمات شحب تماما. أدركت أنها لم يكن عليها أن تنطق بهذه العبارة. ولكن كان قد فات الأوان.

قال "جيوفري":

– كيف تجرؤين؟

تركها دون أن يضيف كلمة واحدة. التفتت نحو المزارع وتشبثت بداها بجذع الشجرة ودموع الغضب والحسرة تسيل على خديها. لقد كانت غاضبة منه أكثر من ذي قبل. وأقسمت ألا يلقى منها سوى اللامبالاة.

في الأيام التالية كرس "هنري بلانتاجينيه" كل وقته للاستعداد لعودته إلى "أكيتان". وكان يشرف على كل شيء بنفسه.

بقيت "كونستونس" بعيدة عن نشاط القصر وحرصت على تجنب "جيوفري". كانت تتكلم قليلا باستثناء مع خادمتها التي أحبتها، وكانت تشعر بالحزن من أجلها.

– آنستي، أنت غير سعيدة في القصر؟ الكثير من الناس يتمنون الحياة في البلاط الملكي.

– إني سجينة هنا على الرغم من المعاملة الحسنة التي ألقاها.

– إن تصرفك تجاه "جيوفري دانتيني" قد أثار تقدير الجميع لك.

– بدأت أندم على هذا التصرف، إنه ليس فارسا شجاعا بل شابا محبا ينظر إلى "آليونور" بحب وولع يثيران السخرية.

– مثل الجميع، ولكن لابد أنه يشعر تجاهك بالعرفان.

– على العكس، إنه يحتقرني.

– انسيه، إن الفرسان –الذين ينظرون إليك بكل

إعجاب– كثيرون.

– إنه يثير حزني.

– سنرحل قريبا وستجدين في السفر تسرية عن نفسك. يبدو أننا سنذهب إلى "إنجلترا".

*****

بالفعل اتخذت الحاشية كلها طريق ساحل الأطلنطي توقف الملك في البداية في "ليموج" ليحضر تتويج كونت "ليموج" ثم رحل إلى "بلاي" وهناك نصبت الخيام.

سألت "كونستونس" خادمتها.

– ماذا يحدث؟

– يجب أن يقابل الملك كونت "برشلونة". يتحدثون عن خطبة أبنائهم، سيكون هناك أيضا فيكونت "كركاسون".

الخطيبان لم يكونا سوى طفلين. فكرت "كونستونس" على الفور في أن "هنري بلانتاجينيه" كان يبحث عن تحالف ضد ملك فرنسا "لويس السابع". تأكدت هذه الفكرة عندما أبعدوها عن الاحتفالات.

ثم ركب البلاط الملكي سفن "هنري بلانتاجينيه". كانت هذه هي المرة الأولى التي تسافر فيها الفتاة الشابة في البحر. ولقد كانت الأيام التي قضتها في البحر تجربة صعبة بالنسبة لها. حيث أصابها دوار البحر بدون توقف، وأخيرا شعرت بالارتياح عندما وضعت قدميها على أرض "إنجلترا".

ثم استأنف الركب التنقلات: "وينشستر"، و"مالمسبري"، "لينكولن"، "أوكسفورد، نوتنجهام". كان "هنري الثاني" يزور حلفاءه وكان هؤلاء يملأون خزينته بالذهب ويقدمون إليه

فرسانهم.

أدركت "كونستونس" بدون صعوبة أن "هنري الثاني" يعد جيشه للحرب للاستيلاء على "تولوز". لقد أشعرها ذلك بخزي شديد. إن "تولوز" تتبع ملك فرنسا "لويس السابع" و"هنري بلانتاجينيه" والٍ له أراضيه التي تقع في فرنسا. الاستيلاء على "تولوز" حركة تمرد واضحة. وعائلة "كونستونس" تتبع "هنري بلانتاجينيه" ولكنها قبل كل شيء تدين بالولاء لملك "فرنسا".

رأت الفتاة الشابة أن خيانة "هنري بلانتاجينيه" تحلها من وعدها له بأنها لن تحاول الهرب. إنها تكره هذه الأرض الغريبة وهذا البلاط الذي يحرمها من دفء عائلتها، واضطرت إلى أن تعترف رغما عنها. إن عدم اهتمام "جيوفري" بها يعذبها. كم هو مؤلم أن ترى ذهنه منشغلا بأخرى. وشيئا فشيئا بدأت فكرة العودة إلى "فرنسا" تلاحقها.

نبلاء "إنجلترا" كانوا يقيمون الاحتفالات على شرف مليكهم في "نوتنجهام" كانت هناك مسابقة للرمي بالقوس.

اشتهر رماة "نوتنجهام" بأنهم الأفضل في "إنجلترا"، وكذلك كان فرسان الملك النبلاء يتدربون طوال اليوم. كانت "كونستونس" تشاهدهم بما أنه لم يكن لديها ما تفعله.

بدا "جيوفري" الأكثر مهارة. لم تستطع أن تمنع نفسها من الإعجاب بعضلاته البارزة والكبرياء الذي رفع به هامته. وهو يصوب ويصيب الهدف في مهارة وبدون أن تشعر صفقت في حماس. عندما سمع هذا الصوت انتبه إلى وجودها وتقدم نحوها.

اضطربت عندما شاهدت عينيه الزرقاوين. للمرة الأولى منذ زمن طويل يبتسم إليها.

– آنستي، كلانا يكن للآخر عداء واضحا ولكننا الآن على

أرض غريبة. ولابد أنك تشعرين بالوحدة، لنعقد هدنة، هل توافقين؟

هل كان يريد السلام حقا أم كان يعتقد أنه يكفيه أن يظهر حتى تنهار أمام وسامته، ترددت وكادت تصرخ بما تشعر به من ألم وندم ورغبة في أن تمحو كل الشهور الماضية.

استطرد:

– لقد قتلت الحب الذي كنت أحمله لك، ولكن يصعب عليَّ أن أتصور أنك عدوتي. ألن تتوقف كراهيتك أبدا؟

لم تسمع سوى شيء واحد، أنه لم يعد يحبها.

أجابته بأقصى ما تستطيع من برود:

– ليكن، لقد قبلت الهدنة، ولكن لا تعتقد من ذلك أن كراهيتي لك قد نقصت.

–أشكرك. ستكون مسابقة الغد قوية. كنت سأشعر بضعف شديد إذا اشتركت في هذه المسابقة وأنا أعرف أنك تتمنين هزيمتي.

هذا هو الشيء الوحيد الذي يهمه إذن. مغتاظة قالت:

– لأنه تهمني نتيجة المسابقة، وعلى الرغم من ذلك، ساكون سعيدة بانتصارك؛ لأنه يسعدني أن يهزم فارس فرنسي آخر ساكسوني.

– إني حريص على أن يتشرف بي مليكي.

– وماذا عن مليكتك؟

ذهبت نظرة "جيوفري" بعيدا، سمعته "كونستونس" يقول وهي تشعر بخيبة أمل:

– لقد شرفتني "آليونور داكيتان" بأن منحتني لقب بطلها ولا أريد أن أخذلها.

إنه لا يفكر سوى في "آليونور". ارتعشت "كونستونس" من الغضب. لقد كانت مجنونة عندما تصورت أنه من الممكن أن تحتفظ بـ"جيوفري". ابتعدت دون حتى أن يلاحظ.

هنا، إنها لا تعمل حسابا لأي شخص، لقد تم اختيارها، ستهرب من "بلانتاجينيه" وتعود إلى "فرنسا".

الفصل الخامس

كانت مسابقة الرمي في اليوم التالي هي الفرصة التي تحلم بها للفرار. بالإضافة إلى الأربعمائة شخص الذين يشكلون اتباع "هنري بلانتاجينيه". كان هناك النبلاء والبارونات وهم حوالي ثلاثمائة ساكسوني. دون حساب الخدم والفلاحين من أنحاء "نوتنجهام" الذين أعطاهم سيدهم يوم راحة للاحتفال بالملك. في هذا الحشد لم يكن أحد ليستطيع ملاحظة "كونستونس".

لكن الفرار من القصر ليس كل شيء. كان عليها أن تصل إلى سواحل المانش وأن تجد مركبا. إنها لا تعرف أي شيء من هذه اللغة وتجهل الطريق وليس معها أي نقود.

من يستطيع أن يساعدها؟ بالتأكيد ليس "جيوفري" ولا أحد فرسان "بلانتاجينيه". صديقتها الوحيدة كانت خادمتها التي تعتني بها. ربما تستطيع أن تعتمد على الحارس الذي عرض عليها مساعدته. لابد أن تخاطر.

في المساء قبل العشاء بينما كانت الخادمة تساعدها على ارتداء ملابسها سألتها:

– اسمعي، هل تستطيعين أن تقدمي لي خدمة؟ ليس لي أي شخص آخر أستطيع أن ألجأ إليه.

– آنستي، أنت في سن تقرب من سن ابنتي. إني متأثرة لأن أراك حزينة دائما. تحدثي ولا تخافي شيئا.

– للغد أحتاج إلى معطف وملابس فارس وحذاء أيضا. هل تستطيعين أن تعطيني أيضا بعض المال؟

فكرت المرأة وهزت رأسها وقالت في بساطة:

– آنستي. أنت تريدين الفرار إذن.

لقد خمنت رغبة الفتاة الشابة بسهولة ولكنها لم تبد أي مفاجأة. وكأنها كانت تتوقع رغبة "كونستونس". لكن ألن تخونها؟ وضعت الخادمة يدها على يد الفتاة الشابة.

– لن أقول شيئا لأحد. أين تريدين أن تذهبي؟

– صباح غد. سيهتم الجميع بمسابقة الغد. لن يلاحظ أحد غيابي.

– قد يستطيعون اللحاق بك.

– سآخذ حصانا أو حتى سأسرقه.

– آنسة تركض بحصان بمفردها ستلفتين نظر أهل الريف.

– آنسة نعم ولكن سيد؟ عليَّ أن أتنكر أيضا في ملابس رجل. سأذهب مباشرة نحو الجنوب، أي نحو البحر.

نظرت إليها الخادمة ورأت في عينيها الإصرار. فتشت في جيوبها وأخرجت كيس نقود.

– لدي هناك اثنا عشر ماركا فضيا.

– لا أعتقد أنني أستطيع أن أردها إليك.

– إني أعرف ذلك.

متأثرة، أخذت "كونستونس" الكيس وخفضت جبينها.

– شكرا. لن أنساك أبدا.

لقد حصلت على أهم شيء. يبقى الحصان. ذهبت

"كونستونس" تبحث عن الحارس.

– سيدي، لقد طال الوقت وأشعر بالحنين لوطني وأريد أن أتنزه في غابة "نوتنجهام" التي تذكرني بغابة "بواتو". هل تستطيع أن تعطيني حصانا لمدة ساعتين أو ثلاث صباح الغد؟

– لا تستطيعين أن تذهبي بمفردك يجب أن أرافقك إذا أردت.

– سيدي إن ما أبحث عنه هو الوحدة.

– الغابة بها لصوص، سيكون ذلك من التهور أن تذهبي بمفردك.

– ليس في هذا الوقت، إن مجيء "هنري بلانتاجينيه" قد طردهم.

– حسن، سأوفر لك حصانا ولكن لا تبتعدي كثيرا.

في الصباح الباكر ذهبت "كونستونس" لتأخذ الحصان ثم ارتدت ملابس الفارس التي أعطتها الخادمة إياها. أمسكت المرأة وقالت في حزم:

– قصي لي ضفائري، يجب ذلك.

ترددت الخادمة ثم أذعنت. أمسكت المقص وقصت لها ضفائرها. لم تشعر "كونستونس" بالندم عندما رأت الضفائر الشقراء عند قدميها. والآن تشبه الفارس.

– وداعا، حاولي ألا يكتشف أحد اختفائي.

أجابت الخادمة:

– ليحفظك الله.

كانت "كونستونس" محظوظة، الجو جميل والسماء صافية، تستطيع أن تعتمد على الشمس في توجهها.

*****

انطلقت نحو الجنوب وقابلت في طريقها فلاحين وسيدات من الطبقة الراقية في طريقهم إلى المسابقة. كما توقعت، لم يدهش أحد مظهرها.

كان الحصان الذي اقترضته من الحارس قويا وسريعا. بعد ساعتين من العدو شعرت بأنها قد قطعت مسافة لا بأس بها. كانت "نوتنجهام" بعيدة. تعرفت على شكل المرتفعات كما وصفها لها المارة الذين اعتقدوا أنها شاب يتنزه بحصانه. فكرت في أن أحدا لا يستطيع اللحاق بها.

هدأت السرعة. أمامها طبقة من الثلج الأبيض التي تغطي الحشائش. على الرغم من البرد كانت تتصبب عرقا. خشيت أن يتضرر الحصان من ذلك. وقررت أن تستريح في أقرب قرية.

بعد قليل قابلت بيوتا من الخشب متجمعة بالقرب من نهر. ولمحت علامة تشير إلى "أوبرج". قفزت إلى الأرض.

كان صاحب "الأوبرج" رجلا ساكسونيا بدينا، غمغم:

– صباح الخير، ماذا تريد؟

لم تفهمه إذ كان يتكلم بالإنجليزية، ولكن الإشارات كانت كافية أمسكت ذراع صاحب "الأوبرج" وأطلعته على الحصان الذي ينتظر في الخارج وأخرجت ماركا. هز الرجل رأسه ورفع إصبعين. أعطته قطعة نقدية أخرى نادى على صبي الذي حضر وأخذ الحصان.

سأل الساكسوني:

– هل تريد أن تأكل شيئا؟

أدركت أنه يسألها عن الطعام فرفضت بالإشارة، إذ كانت الخادمة قد أمدتها ببعض الطعام. استرجعت الكلمات القليلة التي تعرفها لتسأله أين هي.

أجاب الرجل:

– "ستراتفورد".

تذكرت هذا الاسم. لابد أنها على مقربة من "أكسفورد". لو أسرعت ستصل قبل الظهر.

جاء المساعد يجر الحصان. ابتعدت بسرعة وقد أصابها القلق من نظرة صاحب الأوبرج المتشككة. لحسن الحظ كان البرد قد أخلى الشوارع من المارة.

وأخيرا وصلت إلى "أكسفورد" وتعرفت على المنازل والأبراج التي نحتها أثناء رحلتها، واستمرت نحو الجنوب وهي تسرع الخطى عندما تمر بالقرى.

أخيرا بعد الظهر اشتمت رائحة البحر المالحة. حتى الآن لقد نجحت، ثم نجحت في الوصول إلى "دوفر". قبل الغروب بقليل وصلت إلى قصر "جيوم لو كونكيرون" الذي يشرف على البحر وزفرت في ارتياح: لقد مر ما هو أكثر صعوبة.

في "دوفر" تبينت في سعادة أنهم بسبب المعبر بين "فرنسا" و"إنجلترا" يعرفون بعض الفرنسية. أشاروا إليها إلى صياد من "بولونيا". ذهبت تبحث عنه. كان الرجل جالسا إلى طاولة في مقهى.

قالت له:

– أريد أن أعود إلى "فرنسا" على الفور، هل هذا ممكن؟

– يا إلهي، لا أستطيع إلا صباح غد.

– أريد أن أرحل هذا المساء.

– مستحيل مع حالة البحر السيئة. صباح غد سيكون هادئا.

– أستطيع أن أدفع لك.

– غدا. أخبرني، هل تقابلك مشكلة يا سيدي؟

انتاب الصياد القلق. فضلت ألا تصر.

وجدت بسهولة "أوبرج" لتقضي فيه الليل واستيقظت قبل الفجر وانتظرت الصياد. كان مازال مترددا يتحجج بحالة البحر السيئة، ولم يغير رأيه إلا بعد أن دفعت له خمسة ماركات فضية.

إنه لم يكذب، لقد قابلا في البحر أمواجا مرتفعة ودوامات أخذت تعصف بالمركب المتهالك. أخذ الحصان المسكين يصهل لم يكن معها أموال لكي تشتري حصانا آخر. فأخذته معها في المركب. وأخيرا بعد ساعات من العذاب وصلوا إلى "بولوني"، ووضعت قدميها على أرض "فرنسا" وقد نال منها التعب. إنها الآن في أمان.

أثناء الليل كانت تشعر بأن سريرها في الأوبرج يعلو وينخفض. استيقظت مجهدة ولكنها سعيدة: لقد كانت في "فرنسا". بعد قليل ستستطيع أن تقبل "روزموند" وعائلتها. تصورت دهشتهم، هل سيكون "جيرو" موجودا؟

قبل صاحب الأوبرج النقود السكسونية التي قدمتها له وأخبرها بأن هناك عجوزا يهوديا يستبدل العملة. توجهت إليه واستبدلت ما تبقى لها من مال بالعملة الفرنسية وبعد ثلاثة أيام كانت في "شاتلرو".

ما أخرها عن الوصول إلى "شوفيني" هو أنها لم يعد لديها مال حتى إنها لم تستطع أن تتناول أي وجبة منذ الأمس. دفعت حصانها المسكين ثم كادت تبكي من الفرح عندما لمحت أبراج المدينة.

بدا كل شيء في حيوية: رائحة الأشجار، صوت العصافير، ومطرقة الحداد، صوت حاملي الماء، والفلاحات، كل هذه الأصوات بدت كأنها أغنية في أذنيها. وعلى العكس كان قصر "مونتليون"

خاليا.

– أوه. هل هناك أحد؟

لم يجب أحد على ندائها. لم تكن هناك أي إشارة للحياة، هل رحلوا جميعهم في زيارة أحد نبلاء المنطقة؟ ماذا تفعل؟ دون تردد توجهت إلى قصر "جوزون".

فتحت السيدة الباب وبدت الدهشة على وجهها عندما تعرفت على "كونستونس".

– "كونستونس دو جالناي".

– لقد هربت من بلاط "هنري الثاني". إني آتية من "إنجلترا"، ماذا يحدث في "مونتليون"؟

– هيهات، لقد فر سيد "مونتليون" وعائلته وكذلك "جيرو دو فونتالفرين". إنهم يخشون غضب الملك "بلانتاجينيه" وذهبوا يطلبون حماية كونت "تولوز".

فهمت "كونستونس" الأمر: لقد استعاد الملك فارسه وسينتقم بمجرد عودته إلى "فرنسا". وما منعه من التعجيل بالانتقام استعداده للحرب. تذكرت عنف "بلانتاجينيه" في "توار" عندما حارب بقسوة وليه المتمرد عليه. سيدفعهم ثمن الفدية غاليا، وكذلك الهجوم على "آليونور". وعائلتها لا تستطيع أن تطلب الحماية المباشرة من ملك فرنسا الذي سيضطر إلى إدانة الهجوم على "آليونور" إن ملاذهم الوحيد إذن هو لدى كونت "تولوز". خفضت رأسها. إن كل هذه المشاكل بسببها. قالت:

– سأرحل.

قضت الليل في "شوفيني". قدمت لها عائلة "جوزون" المأوى وفي الصباح كانت قد نالت قسطا من الراحة، كذلك الحصان. واستأنفت "كونستونس" رحلتها محاولة أن تطرد من ذهنها

الأفكار السوداء التي تلاحقها. لقد كانت تتمنى أن تكون عودتها إلى وطنها هي نهاية المتاعب.

اخترقت قرى وحقولا دون أن تراها إذ أنها تريد أن تصل إلى غايتها بسرعة.

في اليوم التالي كانت "تولوز" الوردية أمام عيني "كونستونس". كان قصر الكونت ماثلا أمامها في شموخ. وصلت إلى الباب الضخم وقدمت نفسها.

كان كونت "تولوز" غائبا، لقد رحل إلى قصره في "سان جيل" بالقرب من "نيم". من أتباعه لم يبق سوى موظف يقوم بإدارة وحراسة أملاك الكونت. شعرت "كونستونس" بالأسف لذلك.

– انتظري "روزموند"، ابنة السيد "مونتليون" هنا.

قفز قلب "كونستونس". وفي لحظة نسيت المشقة وشعرت بفرحة شديدة. عندما أخبروا "روزموند" جاءت مسرعة.

– "كونستونس". هذه أنت!

– ابنة عمي الحبيبة. أنت أول شيء جميل أقابله منذ عودتي.

تعانقت الفتاتان. وانفجرت "كونستونس" في البكاء بعد الأيام العصيبة التي عاشتها أخيرا، وهي الآن تستطيع أن تعبر عن مشاعرها بحرية.

سألتها "روزموند" في دهشة:

– كيف وصلت إلى هنا؟

– جيرانكم، عائلة "جوزون"، أعلموني بمكانك. لقد شعرت بخيبة أمل، كل ذلك هو خطئي.

– اهدئي وامسحي دموعك. لنبدأ بأن تشربي وتأكلي وبعد ذلك ستحكين لي كل شيء.

إن هذه الكلمات العاقلة جديرة بـ"روزموند". تناولت "كونستونس" الإفطار أمام عيني ابنة عمها التي أخذت تنظر إلى الهالتين السوداوين حول عيني "كونستونس" ووجهها النحيف. قالت لنفسها: "كم تغيرت!". لقد كانت تبدو طفلة عندما غادرت "شوفيني" في الخريف الماضي، وهي الآن تبدو امرأة على الرغم من أنها لم تتجاوز الثامنة عشرة.

قالت:

– لابد أنك متعبة جدا.

– لقد عبرت "إنجلترا" و"فرنسا"، والأسوأ من ذلك على الإطلاق أنني لم أجد سوى الحزن والألم عند عودتي إلى وطني. لقد ساعدتني إرادتي على الصمود أمام سوء حظي، لكني لم أعد أستطيع الاحتمال وظهري يؤلمني.

– هل حررك "هنري بلانتاجينيه"؟

– لا، لقد هربت بمساعدة خادمة طيبة. كنت أشعر بالاختناق في بلاط الملك.

نظرت إليها "روزموند" في دهشة:

– يا إلهي! لم تكوني في سجن إذن؟

– حررني الملك من السجن عندما عدلت عن تجريد "جيوفري دانتيني" من لقبه.

قالت "روزموند" في رصانتها المعهودة:

– كان هذا جديرا بأن يمنحك العفو على تسامحك.

– على الإطلاق، لقد كنت مخطئة، إنه يحمل لي كراهية شديدة لعودته على الحمار. لو رأيت نظرته إليّ لأصبت بالقشعريرة. إنه لم يعد يحبني، لقد صرح لي بذلك في وجهي.

قبلتها "روزموند" في حنان:

– كم أنت مسكينة يا عزيزتي "كونستونس".

– كانت كلمة واحدة منه كافية حتى أفصح له عن ندمي وأسفي. كنت أفضل أن يشتمني أو حتى يضربني بدلا من هذا البرود القاتل. إني لم أعد موجودة بالنسبة له، إنه مغرم بمليكته "آليونور".

– يقولون إنها امرأة رائعة الجمال.

– إن كل الفرسان والنبلاء يعشقونها. آه يا "روزموند"، هل تفهمين لماذا أشعر بكل هذا العذاب؟ إن الغيرة تعتصر قلبي عندما أراه يبتسم إلى "آليونور".

– أمازلت تحبينه؟

– على الرغم من أنه قاتل والدي..

أضافت في حزن:

– على الرغم من ذلك، استطاعت الأيام أن تزيل عني ألم هذا الجرح الكبير. يجب أن أعترف لك بأن نظرات "جيوفري" إلى "آليونور" هي التي أيقظت كراهيتي له أكثر من قتله لأبي.

– الحب المفاجئ الذي نما في قلبك تجاهه لم ينطفئ ولقد تحول إلى كراهية.

– لم أعد أريد أن أحبه. إنه أجمل فارس رأيته وقلبي يرتجف عندما أراه، ولكن إرادتي تحارب ضعفي وأريد أن أنساه.

قالت "روزموند" مفكرة:

– لكنك لا تستطيعين. أحيانا يبدو لي الحب أمرا مثيرا للحزن عندما يكون حبا من طرف واحد. تتشوقين لأي إشارة من ذلك الذي تحبينه وهو يتجاهلك. أتعرفين أن "جيرو" يفكر فيك منذ رحيلك؟ كل يوم يأتي اسمك على شفتيه.

– المسكين "جيرو"، لقد فقد كل أملاكه بسببي لكي يفوز

بي، تورط في هذا الهجوم الذي يفتقد إلى التعقل. إنه يحبني. لو كان له وجه "جيوفري" لكان الأمر سهلا.

– ربما أنت متأثرة بوفائه..

– أين هو؟

– في "سان جيل" مثل أبي وباقي الفرسان، إنهم مع كونت "تولوز" الذي يفضل الإقامة في قصوره في الجنوب مثلما يقيم في مدينته. لم أبق هنا إلا لأنني متعبة ولا أحتمل السفر.

–يجب أن أستأنف رحلتي إذن وأذهب إلى "سان جيل". يجب أن أخبر كونت "تولوز" بالنيات السوداء لـ"هنري بلانتاجينيه".

– ماذا تقصدين؟

– لقد أراد أن يبقيني حبيسة في بلاط (أكيتان) لأني سمعت الملك يفصح عن سر. جولته الطويلة هدفها تقوية علاقاته واكتساب حلفاء من أعداء "تولوز" بمساندة نبلاء "إنجلترا" و"اسكتلندة"، يريد الاستيلاء على "تولوز". ولن يستطيع ملك فرنسا أن يفعل شيئا لأن قواته ستكون أقل من قوات "بلانتاجينيه".

– إذا استولى على "تولوز" فسنضيع جميعا.

– أتمنى أن يستطيع الكونت عندما أخبره أن يجمع جيشا معقولا يستطيع الصمود ويحصل في الوقت المناسب على مساعدة ملك "فرنسا".

– سنرحل كلانا بمجرد أن تستريحي.

طوال الليل كانت "كونستونس" تروي لابنة عمها حياتها كسجينة، وبدورها حكت لها "روزموند" خوفهم من غضب الملك، وقرار والدها بالاحتماء بكونت "تولوز" وهو الرجل الوحيد

الذي لا يخضع لـ"بلانتاجينيه" وواست ابنة عمها التي لامت نفسها لأنها أصل كل هذه الأحزان.

في اليوم التالي رحلت الاثنتان. ارتدت "كونستونس" ملابس الرجال من جديد، وبذلك رحلا أمام أعين الفلاحين دون إثارة انتباه أحد. وأخيرتا حارس القصر بالموقف فشجعهما على الذهاب إلى "سان جيل".

ذهبتا لسماع القداس في الكنيسة ثم رحلتا عبر الحقول ذات الأشجار المجردة من أوراقها في الشمال لتقابلا بعد ذلك أشجار الجنوب ذات اللون الأخضر الداكن. في شهر مارس "آذار" كان الربيع قد ازدهر في "ناربون" وكانت الشمس حارقة.

بعد يومين من رحيلهما من "تولوز" وصلتا إلى "كاماراج"، إنهما الآن على مقربة من "سان جيل".

فجأة ارتعشت "كونستونس". إن "جيوفري دانتيني" ماثل أمامهما في قمة شموخه وكبريائه يرافقه ثلاثة رجال.

الفصل السادس

سألت "كونستونس" نفسها:

– كيف استطاع العثور علينا؟

نظرت حولهما، خمن "جيوفري" أفكارها.

– لا توجد فائدة من محاولة الهرب، ستخاطران بالغرق في المستنقعات، أنتما مقبوض عليكما.

تملك الخوف من "كونستونس". استعادت شكل زنزانتها المظلمة وتصورت بلاط "أكيتان" دون أن تفكر صاحت لـ"روزموند":

– لنهرب.

قبل أن يستطيع "جيوفري" ورفاقه أن يصدر عنهم أي رد فعل، انطلقت مسرعة تتبعها ابنة عمها. انطلقتا عبر السهل دون الاكتراث بالحشائش العالية التي خدشت جسديهما ولوثتهما بالوحل.

وصل إلى مسمعيهما صوت خطوات الخيول. لقد مضت لحظة الدهشة الأولى، وانطلق "جيوفري" ورفاقه للحاق بهما.

صاحت "كونستونس":

– إلى اليمين. إلى اليسار.

أخذت تغير في اتجاهاتهما لتضلل ملاحقيها.

– بسرعة. بسرعة.

نظرت "كونستونس" بسرعة خلفها لقد كانتا قد ابتعدتا بقدر معقول مما مدها بالشجاعة ودفعت الحصان.

– هيا. هيا.

فجأة توقف حصانها وهو يصهل. امتد أمامهما مساحة موحلة يجب أن تلفا حولها لتبقيا على الأرض الصلبة: برك واسعة من المياه تلمع تحت الشمس ترددت. أي الاتجاهات تسلك؟ التفتت برأسها. يبدو أن ملاحقيهما قد استشعروا المشكلة. انقسمت المجموعة إلى قسمين اثنان اتخذا الجانب الأيمن والآخران الأيسر. ليختصروا المسافة التي تفصلهم عن الفتاتين. لقد وقعتا في الفخ. وهم يقتربون. صاحت "كونستونس" في ذعر:

– إلى الأمام مباشرة.

غمزت الحصان. قالت "روزموند":

– لا، هذا خطير جدا. سندفن.

لم ترد "كونستونس" أن تسمع. دفعت حصانها إلى الأمام.

أخذ الحصان يضرب رأسها يمينا ويسارا. رافعا الوحل وهو يغوص في الأرض اللزجة. يتعثر ويقاوم وهي لا تكف عن دفعه.

– تقدم! تقدم!

ركزت كل قوتها للسيطرة على الحصان، ولكنها سمعت على الرغم من ذلك صوت "جيوفري":

– توقفي يا "كونستونس". توقفي، ستموتين. توقفي بحق السماء.

سمعته يتبعها في البرك.

– عودي، عودي أرجوك.

صاحت في الحصان:

– تقدم! تقدم! تبا لك!

وجدت مشقة في السيطرة على الحصان وإجباره على طاعتها. تعثر الحصان أكثر فأكثر في التقدم في بركة الوحل. فدفع "كونستونس" بعنف في الهواء.

وابتعد الحصان بضع خطوات وهو يغوص أكثر فأكثر. نهضت "كونستونس" وأرادت أن تلحق بالحصان. اهتزت الأرض تحت قدميها. تقدمت خطوة ثم اثنتين ثم ثلاث خطوات. وفي كل خطوة كان يزداد غوصها في الوحل.

صاح "جيوفري" الذي بقي على بعد أقدام قليلة منها:

– لا تتحركي. سأخرجك من هنا.

حاولت أن تمشي. ابتعد حصانها. كان يصهل ويقاوم الموت في يأس ولم يستطع سوى الغوص.

توقفت وصعد الوحل حتى ساقيها. لا. لن تهلك في هذه البركة. قاومت وحاولت أن تتعلق بالحشائش العالية.

لم تفعل جهودها سوى أن زادت الموقف خطورة. أخذ الوحل

يصعد أكثر فأكثر. صاحت:

– النجدة.

بعيدا، تقدم رفاق "جيوفري" في حذر يرغبون في إنقاذهما و"جيوفري" يحاول أن يجد أرضا صلبة. وأخيرا وجد أرضا صلبة استطاع حصانه أن يقف عليها يفصله عن "كونستونس" حوالي عشر أقدام.

لقد دفنها الوحل حتى بطنها. كانت تصيح في فزع:

– "جيوفري"، النجدة.

قفز الفارس إلى الأرض. وخلع خوذته بسرعة.

– "جيوفري". أنقذني. لا أريد أن أموت.

ربط حبلا من الجلد في سرج حصانه وتقدم به في الوحل. صاح مشجعا الحصان:

– هيا تشبث.

صاحت "كونستونس":

– أنقذني بسرعة. بسرعة.

صهل حصان "جيوفري" من الخوف. ولم تعد "كونستونس" تستطيع التنفس وغطى العرق وجهها. هل سيستطيع أن ينقذها؟ اثنتي عشرة قدما تفصلانهما. لن يستطيع أن يصل إليها؟ آه. لماذا لم تسمع نصيحة "روزموند"؟ أو حتى حصانها؟

نظرت إلى الحصان، الحيوان المسكين لم يعد ظاهرا منه إلا رأسه. هل ستواجه مصيرا مشابها؟ ضمت "كونستونس" يديها تدعو الله أن ينقذها. إنه لأمر مفزع أن تموت بهذه الطريقة. هل هربت من "إنجلترا" وقطعت هذا الطريق الطويل لتصل إلى هنا؟ و"جيوفري" ماذا يفعل؟ ألا يجد شيئا لينقذها؟ الوقت يمر. آه. هذه الكراهية التي سممت حياتها. كم هي حمقاء تبدو في

عينيها الآن. وهذه الحروب التي تحصد أرواح الفرسان، وأفكار الكرامة والكبرياء، وغيرتها من الملكة. لا شيء يساوي الرعب الذي تشعر به.

همست: "الحياة! أريد أن أحيا، يا إلهي ساعدني".

إنها تشعر بأنها قد ضاعت. رأت أمام عينيها صورة طفولتها وحنان والدها، ومعركة "توار". وأدركت أن ساعتها الأخيرة قد أتت. قالت: "يا إلهي، إني أضع روحي بين يديك".

همست:

– وداعا "جيوفري".

صاح:

– سأنقذك.

أخذ "جيوفري" يحاول أن يتقدم في البركة وكان قد ربط طرف الحبل في قدم حصانه. التفت خلفه وكان الحصان الشجاع قد أدرك ما يريده سيده فانتصب ليشكل دعامة قوية له. وبعد صراع مع الوحل اللزج استطاع "جيوفري" أن يصل إلى "كونستونس".

أحاطها بذراعه وجذبها بشدة. لاحظت "كونستونس" أن يده تنزف بغزارة. لقد جرح أثناء محاولته أن يشق طريقه في هذه البركة الموحلة وأخيرا ضم "كونستونس" إليه بشدة.

كان الحصان ثابتا. نجح "جيوفري" في إخراجها. من هذا المستنقع ورفعها لتضع قدمها على الأرض الصلبة.

ثم فقد وعيه وقد أصابه إعياء شديد.

تنفست "كونستونس" في ارتياح ورفعت رأسها ونظرت إلى العصافير التي تطير في السماء الزرقاء والحشائش المتموجة تحت الريح كأنها لم ترها من قبل. لقد هلك حصانها. الحيوان المسكين.

www.rewity.com

لقد كان يرفض بشدة الدخول في هذا المستنقع.

بقي "جيوفري" فاقدا الوعي. وملأ قلبها شعور كبير بالعرفان بالجميل لقد خاطر بحياته من أجلها. وجرح بشدة. فكرت، "وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يحبني".

لقد أنقذني بدافع من نبل أخلاقه. لا أحد أفضل منه يستحق لقب فارس.

مضطربة، لمست خصلات شعره الأشقر. كم أخطأت في حقه. بأي حق تهتم بحياته؟

هناك على الطرف الآخر من المستنقع وقف رفاق "جيوفري" و"روزموند" يشيرون إليها.

– عودا. ماذا تنتظران.

يجب العودة إليهم. هل سيحتمل حصان "جيوفري" أن يحملهما هما الاثنين دون أن يضعف؟ أخذ الحصان يصهل كأنه يشير إلى خطر. شعرت "كونستونس" بالقلق من جديد. نظرت إلى الأرض: قطعة الأرض الصلبة الضيقة التي يقفون عليها. إن وزنهم والمجهود الذي قام به الحصان كنقطة دعم لهما كان كافيا لتتحرك الأرض الهشة تحتهم. لو لم تقاوم الأرض فسيغوصان في الوحل من جديد. هل نجيا من خطر ليسقطا في آخر؟

هزت "كونستونس" "جيوفري":

– استيقظ. استيقظ سنغوص من جديد.

استعاد وعيه في بطء.

– ستنهار الأرض، يجب أن نهرب.

وثب على قدميه وأدرك الخطر على الفور ونادى رفاقه:

– حاولوا أن تقتربوا إلى أقرب نقطة إلينا. الأرض غير ثابتة. اقتربوا.

– لا نستطيع الاقتراب أكثر من ذلك، هيا بسرعة، سنرفعكما.

رفع "جيوفري" "كونستونس" إلى ظهر الحصان وقفز ثم دفع حصانه. قاوم الحصان رافضا الدخول إلى الأرض الرخوة. نزل الفارس الأشقر وأمسك اللجام، وفي شجاعة تقدم إلى الأمام. وأخيرا انصاع الحيوان.

في كل خطوة كان "جيوفري" يستجمع قوته ليرفع قدمه من الوحل. عبر ثلاث أقدام ثم خمس ثم سبع. أخيرا استطاع أن يمسك الحزام الذي ألقاه إليه أحد رفاقه في هذه المرة. كانا بعيدين عن الخطر. ألقت "روزموند" بنفسها بين ذراعي ابنة عمها.

– لقد ظننت أنك هلكت.

– وأنا أيضا ظننت ذلك لولا شجاعة السيد النبيل "دانتيني".

التفتت نحوه:

– لقد أنقذتني. لا أستطيع.. أبدا أن أشكرك لقد أنقذتني أنا التي..

اختنق صوتها بالدموع.

همس:

– لا تشكريني، هذا واجبي تجاه والدك.

صاحت "روزموند":

– يا إلهي. يديك!

كانت يدا "جيوفري" تنزفان بشدة. وقد تلوث جرحه بالوحل. ارتعشت "كونستونس" عندما رأته. فجأة شعرت بالبرد رغم سطوع الشمس التي بدأت تجففهما والطين الرطب ملتصقا على جسدها. كانت ترتعش.

قال أحد الفرسان:

– لنبحث عن أوتيل.

كان "جيوفري" و"كونستونس" منهكين، لم يكونا حتى قادرين على الكلام. اتجه الجميع نحو الحشائش العالية.

لمحوا منزلا صغيرا على طرف حقل. أصيب الفلاح بالذعر عند رؤيتهم وقال مخمنا ما حدث لهم.

– لا يوجد ما هو أخطر من الأرض في هذه الناحية. كل عام يموت الكثيرون في هذه المستنقعات. لا يجب أن يذهب إلى هناك سوى من ولد هنا.

أخرج أحد رفاق "جيوفري" كيس نقود.

– هل تستطيع أن توفر لنا المأوى؟

– بالتأكيد. ستقدم لكم زوجتي الطعام وستغسل أغراضكم.

كان الرجل المسكين يعيش على الدجاج الذي يربيه والأسماك التي يصطادها من المستنقعات ومعه زوجته وابنان كبيران. وبعد أن استراحوا قامت "روزموند" لتساعد مضيفتهم في غسيل الملابس. وربطت جرح "جيوفري" برباط. ثم استحم وجف في الشمس وشرب بعض الشراب الطيب الذي قدمه الفلاح وكان ذلك علاجا ممتازا. في صباح اليوم التالي لم تستطع "كونستونس" أن تمنع نفسها من النظر إلى "جيوفري" في إعجاب. قال فجأة:

– "كونستونس"، ساعيدك إلى "بواتييه" وسننتظر عودة "هنري بلانتاجينيه" إنه من سيقرر مصيرك وسنأخذك معنا يا "روزموند".

قطب بين حاجبيه وأضاف:

– آمل أن تكوني قد فهمت خطأك، ومن الآن فصاعدا لا تحاولي الهرب. عاهديني على ألا تكرري هذا الجنون.

أجابت في حزن:

– أعدك بذلك.

كان يلزمها حصان بدلا من الذي هلك في المستنقع. ذهب

أحد ابني الفلاح ليحضر واحدا واعدا بأن يعود بأفضل ما يستطيع الحصول عليه.

بعد رحيله بقي الجو كئيبا، وكانت "كونستونس" تفكر في العودة إلى "بواتييه" وطرحت "روزموند" السؤال الذي يسبب لها القلق منذ البارحة.

– سيد "دانتيني" كيف عثرت علينا؟

– شيء بسيط، تم اكتشاف اختفاء "كونستونس" في اليوم التالي لمسابقة الرمي. في "نوتنجهام".

المسابقة. نسيت الفتاة الشابة هذا الأمر.

قاطعت "جيوفري" قائلة:

– من فاز؟

ابتسم وأظهر خاتما ذهبيا مرصعا بحجر كريم كبير. لقد نلت شرف الفوز وهذا الخاتم هو جائزتي من الملكة.

بدون إرادة أقسمت "كونستونس" ألا تلبس خاتما ذهبيا أبدا. إنه لا يفكر إلا في الملكة. استطرد "جيوفري":

– لقد لاذت خادمتك بالصمت طويلا، ولكنها اعترفت في النهاية بهروبك بعد مقاومة شديدة، إنها تحبك كثيرا. وعلى الفور أمرني "هنري بلانتاجينيه" بالبحث عنك. وانضم إلي ثلاثة رفاق لمساعدتي في هذه المهمة. إلى أين كنت ستذهبين، غير "فرنسا"؟ وانطلقت نحو "شوفينيني". كنت سألحق بك لولا الطقس السيئ الذي عطل عبوري المانش.

سألت "روزموند":

– هل أصبت بدوار البحر؟

– لقد أصبنا بالدوار نحن الأربعة. وكنت أخشى على حياة "كونستونس".

– وفي "شوفيني"، كيف؟

– هناك، لم أجد مشقة في الاستعلام. توجهنا إلى "تولوز" ومن هناك إلى "سان جيل" والبقية تعرفينها.

– هل "بلانتاجينيه" غاضب جدا مني؟

– غضبه شديد ولا أستطيع أن أردد الصفات التي نعتك بها، وسأبذل كل ما أستطيع حتى لا ينالك هذا الغضب.

– هل تعتقد أنه سيسجنني؟

– أتمنى ألا يفعل.

– و"روزموند"؟

– ستكون معك، وستنال مما ستناليه.

صمتت "كونستونس" فجأة. إن الحرية التي حصلت عليها لم تدم طويلا. التفتت نحو النافذة، كانت السماء صافية. نهضت وقالت:

– ما لم تمانع يا سيدي أريد أن أتنفس الهواء الطلق وأستمتع بالشمس لأودع حريتي.

عبس "جيوفري" ونظر إلى الفتاة الشابة في حيرة.

– لا أريد على الإطلاق أن أحرمك من متعة الحرية.

خرجت "كونستونس" تتبعها ابنة عمها. جلستا على مقعد خشبي ووجهتا وجهيهما إلى الشمس.

– لو أستطيع أن آخذ هذه الأشعة الذهبية لأحملها معي في سجني؟.

أمسكت "روزموند" يدها.

– أنت لستِ في السجن بعد. لتؤمني إذن بالحظ.

– كم أنا مجنونة، هذا الصباح كنت آمل بعد أن نجوت من هذا الخطر أن "جيوفري" سيتركني أهرب، لكن كيف تصورت أنه

يستطيع أن يتخلى عن مهمته بما أن ذلك يسعد الملكة. هل رأيت ابتسامته عندما أطلعنا على الخاتم؟

– اطمئني، نحن لم نصل إلى "بواتييه" بعد. بالأمس تحدثت إلى مضيفتنا وشرحت لها موقفنا. في هذه اللحظة يخبر ابنها "جيرو دو فونتالفرين" لأنه ذهب ليحضر حصانا من "سان جيل".

– ماذا؟

– هذه هي الحقيقة. لن يترك "جيرو" "جيوفري" يأخذنا أبدا إلى السجن.

– "روزموند" أنت تخيفينني بشدة. أعرف حماسة "جيرو" وأخشى معركة دامية.

– لا تقلقي. سيكون كل شيء على مايرام.

– لا أعرف من أين يأتي عذابي. "جيوفري" الذي يريد سجني أم "جيرو" المتعطش للانتقام؟

أجابت "روزموند".

– تحلي بالصبر ودعي القدر يتصرف.

الفصل السابع

ترددت "كونستونس": منذ المعركة التي مات فيها والدها والأحداث المؤسفة تلاحقها. ولقد قوت الاختبارات والأخطار التي مرت بها إرادتها وشخصيتها. عندما يعارضها القدر تكافح مفضلة الخطأ على الوقوف مكتوفة اليدين. إن لديها الآن قرارا خطيرا: هل يجب أن تخبر منقذها بما علمت؟

زفرت، نظرت إلى ابنة عمها: سلبية "روزموند" تغيظها. قبل عام كانت مثلها تترك الآخرين يقررون لها وقدرت "كونستونس"

www.rewity.com

إلى أي درجة تغيرت وفكرت بصوت عال:

– إذا هجم علينا "جيرو" فسينتصر و"جيوفري" جريح لا يستطيع أن يمسك السيف.

– لا يهم. هذه هي الفرصة الوحيدة حتى لا تدخلي سجن "بلانتاجينيه".

– أعرف، ولكن أعترف لك أنني لا أحتمل رؤية "جيوفري" يتألم.

– حريتك في خطر وأنتِ منشغلة بمصيره في الوقت الذي لا يفكر فيه إلا في "أليونور".

– لا أستطيع أن أنسى أنه أنقذ حياتي. لا أستطيع أن أصمت عن الخيانة التي ستحدث.

كانت كلماتها تفتقر إلى الإقناع، الدافع الذي يحركها لم يكن العرفان، الحقيقة التي تدفنها بداخلها صعدت إلى شفتيها.

– هذا صحيح، لقد تأثرت بنبل تصرفه وشجاعته بالأمس. هناك في هذه البركة المفزعة عندما كان مغطى بالوحل ويداه تنزفان عاد إلى مخيلتي صورة الفارس الشجاع الذي ظفر بقلبي في "توار". لا أستطيع أن أدفع انجذابي نحوه. لا أريد أن أراه وهو يموت حتى لو لم أكن أمثل شيئا في نظره.

– سيتركه "جيرو" يهرب، إن "جيرو" يريدك أنتِ.

هزت "كونستونس" رأسها.

– فارس مثل "جيوفري" لا ينسحب. سيدخل في معركة يدفع فيها حياته.

– لا أصدق ذلك. إنه شجاع ولكنه ليس أحمق. إذا رأى أنه سيخسر سيختار الحكمة. من ناحية أخرى إنه ينفذ أوامر "بلانتاجينيه"، ولست متأكدة تماما من أنه سعيد بتنفيذ هذه

المهمة. يدهشني أن يستمتع بتعذيبك. من يعرف؟ ربما يمنحك هجوم "جيرو" الفرصة لتجنب السجن. إنه لا يستطيع استخدام يديه وفي هذه الحالة الانسحاب ليس عارا.

تأثرت "كونستونس" بكلمات "روزموند" وأرادت أن تصدقها. لقد أنقذها "جيوفري"، أليس هذا دليلا على أنه حريص على حياتها؟

– هذا مستحيل، لقد قال لها سابقا: "لقد قتلت حبي لك".

زفرت:

– أخشى أن يكون محتفظا بكراهيتي في قلبه لما بدر مني في حقه.

– هل أنتِ متأكدة من ذلك؟

ارتفع الأمل في قلب "كونستونس". إذا نفذ "جيرو" هجومه فسيكشف لها تصرف "جيوفري" عن مشاعره الحقيقية. قررت أن تصمت. إذا كان لا يشعر بشيء تجاهها فلماذا يمنحها الحرية؟

في منتصف النهار عاد ابن الفلاح ومعه حصان رائع، وأراد "جيوفري" أن يرحل دون تأخير. كان أسرع طريق إلى "بواتييه" هو أن يسلكوا عكس الطريق الذي سلكته "كونستونس" في اتجاهها إلى "تولوز". بذلك يتجنبون عبور الجبال. اتجه الستة إلى الغرب والفرسان يحيطون بالفتاتين. احتياط لا طائل منه إذ إن تجربة البارحة التي عاشتها "كونستونس" تكفيها حتى لا تحاول الهرب.

ساروا في حذر حتى لا يدخلوا طرقا وعرة، وعبروا جداول ماء، وبعد قليل اختفت المستنقعات وغادروا "كامارج" ووصلوا إلى "موبلييه".

همست "روزموند" إلى ابنة عمها:

– لن يأتي، كان يجب أن يكون قد لحق بنا.

www.rewity.com

فكرت "كونستونس" في ذلك أيضا. سلكوا طريق "بزييه" وهناك لا يوجد أي احتمال لوقوع معركة. إن الطريق مزدحم بالحجاج إلى "سان جاك دو كومبوستيل". لم تعرف "كونستونس"، هل تشعر بالارتياح لتخلي "جيرو" عن إنقاذها أم تشعر بالإهانة؟

توقف "جيوفري" في "بزييه" للاستراحة واستبدال جياد أخرى بالجياد المتعبة. استمرت الاستراحة حوالي ساعة. فقدت "روزموند" كل الأمل. همست "كونستونس":

– ليتنا نسجن في زنزانة واحدة.

سمعها "جيوفري" وبدا الحزن على ملامحه وقال:

– مهمتي تسبب لي ألما كبيرا وتمنيت لو لم أجدكما، ولكن ثقا باني ساحرص على أن تعاملا معاملة حسنة. ربما يكون قصر "بواتييه" سجنا جميلا.

وبعد ذلك توجهوا إلى "كاركاسون" عبر طريق مباشر وأسرعوا الخطى. كان الطريق خاليا بعد أن انفصل عن الطريق الذي يسلكه الحجاج. فجاة وهم يدخلون غابة الأرز سمعوا صخبا شديدا. ظهر الفرسان من كل جانب ويصيحون بنداءات الحرب.

صاحت "روزموند":

– "جيرو".

بشكل طبيعي اصطف "جيوفري" ورفاقه واستلوا سيوفهم. أمسك "جيوفري" سيفه بيديه ليتحقق من قوته لوح بالسيف في الهواء وبدأ ألم شديد على ملامحه وسقط السيف على الأرض.

رأت "كونستونس" الرباط الملتف حول يديه يأخذ لون الدم بسرعة.

صاح "جيوفري" ناظرا إلى السماء:

– تبا لتلك الجروح.

يداه المسكينتان اللتان تمزقتا وهو ينقذها. تاثرت "كونستونس" وشعرت بقلبها يعتصر ألما. أمسكت يدي "جيوفري" قبلتهما في حنان. وفجاة ظهر بينهما فارس كانه إعصار. صاح "جيرو":

– تبا لك يا "كونستونس"، لقد خنتني. إن قلبي لم يخطئ أبدا! إن تصرفاتك هي تصرفات عاشقة. يا للعار. ستهلكان كلاكما الآن. ساقتلكما معا.

تملكت الغيرة والكراهية المتوحشة من "جيرو". وفي فزع صاحت "كونستونس":

– لا، يا "جيرو". لا.

زأر "جيرو" كانه أسد واندفع نحوهما. فجاة أمسك "جيوفري" لجام حصان "كونستونس" ودفع حصانه بقوة وقال:

–لنهرب بسرعة.

واندفع الحصان. وتبعته "كونستونس" يسلكان طريقهما بين المتحاربين خلفهما صوت "جيرو":

– يا للعار. أتهرب أيها النذل. تبا لكما ساقتلكما أنتما الاثنين.

صاح "جيوفري":

– بسرعة. بسرعة.

واندفعا كالبرق. شعرت "كونستونس" بدوار من شدة السرعة وتشبثت بحصانها.

لقد ابتعدا عن "جيرو". لم يكن حصانه بمثل نشاط حصانيهما وصعدا تلا. وألقى الفارس نظرة خلفه.

– إنه بعيد، بعيد جدا.

www.rewity.com مـــر مـــور يـــة

وبدون إبطاء قطعا الطريق بين الحقول والتلال وأفرع أشجار الأرز والزيتون تصفعهما. أخيرا أبطأ "جيوفري" سرعته كانت "كونستونس" تلهث وشاحبة تماما والعرق قد بلل شعرها.

زفرت:

– أتمنى أن نكون قد فررنا منه.

– أتمنى أنا أيضا ذلك. إن الغضب قد أفقده صوابه.

– أين نحن؟

كانا على ربوة تشرف على واد أخضر حيث يسير في خط متعرج نهر. لا يوجد أي أثر للحياة في هذا المشهد وقت غروب الشمس.

نزلا نحو الماء ولمحا قرية وردية أشار إليها "جيوفري".

– لنذهب هناك.

كل شيء بدا نائما في هذا الوقت والسلام يعم الوادي الذي يهدهده زقزقة العصافير. وسارا في الشوارع الخالية حتى وصلا إلى ميدان حيث وجدا مجموعة من الفلاحين جالسين على مقعد خشبي بالقرب من الكنيسة. لم يحرك الفلاحون ساكنا عند اقتراب الغريبين نحوهما.

سأل "جيوفري":

– ما اسم هذه القرية؟

تمتم أحد الرجال:

– "سيسينون".

– وهذا النهر ما اسمه؟

– "أورب" والجبال هناك ذات القمم الثلجية هي الزوجة النائمة "أسبينوز".

– أين نحن إذن؟ هل هذا طريق "كاركاسون"؟

– لا.. أنت لست من البلد، هذا واضح، هنا كل الطرق تؤدي إلى الجبال. قل لي إذن يا سيدي، يبدو أنكما كنتما تجريان.

قالت "كونستونس":

– هناك من يلاحقنا لقتلنا.

– يا إلهي. إذا كان هناك من يبحث عنكما يا آنستي فسيجدكما لا يوجد إلا هذا الطريق. يجب أن تذهبا إلى الأرض البور وهناك لا يوجد ماء.

نظر "جيوفري" إلى "كونستونس". عاجلا أم آجلا سيصل إليهما "جيرو دو فونتالفرين" مقتفيا آثارهما. والعودة إلى الخلف مستحيل التفكير فيها. أمامهما غابات السافانا الوعرة المعروفة بأنها يسكنها سكان الجبال المتوحشون فلن يخرجا منها أحياء.

زفرت "كونستونس":

– ماذا سنفعل؟

لم يجب "جيوفري"، لقد كان يفكر محاولا أن يجد حلا.

قال أحد القرويين:

– ها هم الحواة يرحلون.

مضت ثلاث عربات في بطء يتبعها أربعة أو خمسة خيول. كانت العربة الأخيرة تحمل في قفص حديدي دبا كبيرا.

صاح الفارس الأشقر فجأة:

– لدي فكرة.

جرى إلى العربة الأولى وأشار إلى السائق الذي أوقف الخيول. أخرج "جيوفري" كيس نقود من جيبه.

– أيها الرجل الشجاع نحن في خطر كبير وأخشى على حياة الآنسة التي تراها هل تستطيع أن تخبئنا بين قافلتك؟

امسك الرجل كيس النقود.

www.rewity.com مـــر مـــوريـــة

– بالتأكيد سيدي، ومن الأفضل أن تستبدل بملابسك هذه ملابس مشعوذ، وبذلك لا يتعرف عليك أحد.

– حسن، ولكن قد تكشفنا جيادنا إنها من سلالة طيبة. اربطها بالعربة بين جيادك حتى لا يلاحظها أحد.

ابتسم قائد القافلة ابتسامة عريضة. إن هذا العرض يروق له تماما. أخذ الجوادين الكريمين ليوثقهما –دون عناء– بالعربة. وفي هذه الأثناء استبدل "جيوفري" بملابس الفارس ملابس واحد من منشدي الشعر المتجولين، وسرعان ما ربطت الصداقة بين "كونستونس" وزوج من الكلاب.

سأل "جيوفري" السائق:

– ما هي وجهتك؟

– إلى سيد "بزييه" حيث يقيم حفلا كبيرا.

– حسن، عندما نذهب إلى هناك سنختلط بالحجاج.

*****

ولحقا بالعربة الثانية مع المهرجين ومدربي الكلاب وحيواناتهم. وأخذ "جيوفري" قيثارة ليكمل تنكره. ولكي يحمي "كونستونس" من اهتزاز العربة أحاطها بذراعيه فتعلقت به مستمتعة بدفء حضنه.

همست:

– كيف حال يديك؟

– إنهما تؤلمانني. لكن لا يهم.

استطرد:

– لن أستطيع الإمساك بسيفي. لقد فقدت كرامتي كفارس. لقد سقطت من طبقتي. بدلا من أن أحارب كفارس ها أنا في

الطرقات في ملابس الصعاليك. إن خجلي لشديد.

شعرت "كونستونس" بالمرارة التي يشعر بها وأرادت أن تخفف من ألمه.

– لا تأسف على ذلك. هذه الملابس تبدو جميلة جدا عليك. إني لم أر منشدا مشرقا وجميلا مثلك.

تحدثت في حماس جعله يبتسم. بالقرب منهما جلست زوجة المهرج تنظر إليهما في حنان. قالت:

– أرني يديك إني أعرف بعض الشيء في الطب. على الأقل يجب إعادة ربطهما.

مد "جيوفري" يديه وفكت السيدة الأربطة في عناية. بدا كفا الفارس في حالة يرثى لها.

– الجراح تتلوث، إنها لن تشفى بمفردها. لو لم تعالجهما فسيتم بترهما.

ارتعش "جيوفري" و"كونستونس".

قالت "كونستونس" شاحبة:

– بمجرد أن نصل إلى "بزييه" سأذهب في استدعاء طبيب.

هزت المرأة رأسها.

– لا عليك، لدي هنا أفضل ما تستطيعين أن تحصلي عليه من علاج. ورثته عن جدتي.

وثق المهرج كلامها قائلا:

– إنها صادقة لقد كانت جدتها ساحرة.

قالت زوجة، المهرج:

– لقد كانت تشفي كل الذين يئس الأطباء من شفائهم. اتهموها بأنها معاونة للشيطان بسبب ذلك، كانت تأخذني معها إلى القرية لتختار الأعشاب المفيدة. أنا أيضا أداوي المرضى.

همس المهرج:

– لا يجب أن تقولا ذلك لأحد وإلا أحرقوها.

تردد "جيوفري" وقلقه يزداد عندما يفكر في إمكانية قطع يديه. استطردت المرأة:

– انظروا.

أمسكت الكلب ورفعته في الهواء وكشفت بطنه وبها عدة ندبات.

– لقد ضربه "مارتان" الدب وهما يلعبان.

أكد مدرب الكلب:

– لولا الدهان لمات الكلب، وسبب عيشي معه.

قال "جيوفري":

ضعي على جرحي هذا الدهان.

– أولا، يجب غسيل الجرح، بدون ذلك لن يفيد العلاج.

وبعد مسافة قصيرة كانت العربات تسير بطول نهر "أورب". نادت المرأة القائد الذي توقف.. ونزلا، كانت هناك صخور ضخمة تعوق النهر وبينها يتدفق الماء كالطوفان.

جثا "جيوفري" على ركبتيه على أحد الصخور وغمس يده في الماء متألما.

– هيا يا سيدي إن هذا يذهب كل الضرر.

ثم دهنت الجروح بالدهان وربطت عليه.

– هذا مدهش، أشعر بارتياح شديد.

– ساعطيك بعضا من هذا الدواء، وستفعل كذلك كل يوم، وفي أقل من شهر ستستطيع أن تحارب بسيفك يا سيدي.

بعد نظرة أخيرة على الوادي الهادئ صعدا إلى العربة. من خلال ثقب في غطائها شاهد "جيوفري" الأنحاء، وبعد أقل من

ساعة عند مغيب الشمس وصلوا إلى "بزبيه".

عبس الفارس الأشقر وهمس:

– إنهم هنا.

شحبت "كونستونس" ونظرت حولها. إنها لا ترى "جيرو".

– هل أنت متأكد أنهم هم؟

– بالتأكيد.. لابد أن "جيرو" استكمل ملاحقتنا مع بعضهم. عندما تباعدنا عنه لابد أنه جعل رفاقه ينزلون هنا حتى يمسكوا بنا في حالة عودتنا إلى "بزبيه"، وبالتأكيد فريق آخر ينتظرنا بالقرب من "ناربون".

– لقد ضعنا إذن.

قال المهرج الذي كان يتابع الحديث:

– يا سيدي، لن يفكر أحد في البحث عنكما بين مهرجين بسطاء. ابقيا معنا. هل تعرف عرض الكلاب أو الأكروبات أو عمل المهرج؟

– بحالة يديَّ هذه، لا.

تذكرت "كونستونس" مشهد "جيوفري" وهو يغني أمام "آليونور".

– إنه يستطيع أن يغني وأنا أعرف قليلا العزف على القيثارة.

– لقد نجيتما إذن. قدما عرضا معنا أمام سيد "بزبيه" كأنكما زوج من المنشدين، أنت تغني وهي تصاحبك بالعزف.

قالت "كونستونس":

– مائدة وليمة هي آخر مكان يفكر في أن يبحث فيه "جيرو" عنا.

وافق "جيوفري":

– موافق.

كان مدعوّو سيد "بزيبه" كثيرين. تفحصت "كونستونس" الوجوه وارتاحت عندما لم تتعرف فيهم على أحد كذلك فعل "جيوفري".

همس في أذن "كونستونس":

– حسن، إني لا أعرف أحدا.

– ولا أنا، ولكني ألاحظ أنهم ينظرون إلي في فضول.

– ذلك لأنك جميلة جدا. هذا الشعر القصير الذي يطير على رقبتك يزيدك جمالا.

نجح عرض "مارتن" الدب وكذلك الكلاب. وجاء دور الشابين. أطبق "جيوفري" على يد "كونستونس":

– هل أنت مستعدة؟

– نعم، أعتقد وأنت.

– صوتي مختنق قليلا ولكنه يكفيني أن أتخيل "جيرو" ورجاله ينتظروننا أمام المدينة ليقتلونا. حتى يتجلى صوتي.

تقدما وسط القاعة الفسيحة. والمدعوون يجلسون إلى طاولة يشكلون قوسا حولهما. أخذت "كونستونس" مقعدا وبدأت العزف على القيثارة وجلس "جيوفري" على ركبته أمامها وبصوت دافئ بدأ يغني.

واستمرت "كونستونس" في العزف محاولة إخفاء اضطرابها. نظر "جيوفري" في عينيها متجنبا على هذا النحو مواجهة الجمهور. نسيت المدعوين ولم تعد ترى سواه يغنيها حبه. قالت الكلمات:

لقد ظللت أخفي حبها في قلبي
دون أن أطلعها على حبي

أليس في ذلك اعتراف؟ إن الصدق واضح في صوته. تعالى التصفيق الحار، وعندما انتهت عروض الحاوي والمهرج والأكروبات قادوا الفرقة إلى الغرف التي سيقضون فيها الليل. أدخلت الخادمة "جيوفري" و"كونستونس" حجرة ضيقة. عندما فتح فمه ليعترض منعته "كونستونس". عندما بقيا بمفردهما قالت:

– لو طلبت أن ننام في غرفتين منفصلتين فستوقظ فضولهم. يجب أن يقتنعوا بأننا زوجان.

– أنت محقة. هيهات، لا يوجد حتى مقعد أستطيع النوم عليه. سأنام على الأرض.

– لا، كلانا متعب بما أننا نتقاسم نفس الغرفة، لننم جنبا إلى جنب.

كان "جيوفري" متعبا جدا فقبل. –هل عرف أنه كان يجب أن يتجرد من لقبه؟استطر:–لا عليك لدي هنا أفضل ما تستطيعين أن تاحصلي –لن استطيع الإمساك بسيفي. لقد فقدت كرامتي كفارس. لقد سقك من طبقتي. بدلا من أن أحارب كفارس ها أنا في الطرقات في ملابس الصعاليك. إن خجلي شديد. شعرت "كونستونس" بالمرارة التي يشعر بها وأرادت أن تخفف من ألمه.

الفصل الثامن

دق قلب "كونستونس" بسرعة كبيرة. وانتابها اضطراب غريب لفكرة أن تقتسم فراشها مع "جيوفري" وأن تشعر به بالقرب منها. وهو من ناحيته يظهر ضيقا شديدا لذلك. حاول أن يمزح قائلا:

– بالتأكيد إذا رآنا "جيرو دو فونتالفرين" فسيشتعل غضبه وسيقضي علينا في الحال.

ضحكت "كونستونس" وهي تتخيل "جيرو" يندفع كالمجنون عبر الطرقات.

– بالتأكيد لن يصدق أنك فارس تحرس سجينتك.

قال "جيوفري":

– لم يعد بي أي شيء يتعلق بفارس.

حزنت "كونستونس" لهذه الملاحظة.

– لقد غنيت أفضل من أي مغن محترف.

ابتسم ابتسامة حانية:

– لقد غنيت بهذه الإجادة لأني كنت أنظر في عينيك.

استدارت "كونستونس" حتى لا يلاحظ توردها. هل كانت هذه مجرد كلمات جميلة؟ كانت تود أن تتأكد أن كلمات الحب التي كانت في الأغنية موجهة إليها وأنه لم يعد يحلم بـ "أليونور أكيتان".

اعترفت الفتاة الشابة لنفسها بأن "جيوفري" يفتنها حقا. ودت لو عادت إلى الخلف وصغرت سنة وتكون هي لاتزال في "توار" وترى حبيبها بدون سحب. خشيت أن يخمن الفارس أفكارها.

قالت بصوت جاهدت أن يكون طبيعيا:

– سيدي، أتمنى لك ليلة سعيدة.

– طابت ليلتك يا "كونستونس".

تمددا جنبا إلى جنب. واستسلم كلاهما للنعاس على الفور لشدة تعبهما.

كان القمر بدرا يضيء الحجرة. في قلب الليل شعرت "كونستونس" بالضيق، وبدون تفكير تحركت لتتجنب الضوء. في حركتها لمست يد "جيوفري" فصدر عنه تاوه، فتنبهت الفتاة الشابة، وانتقلت إلى حالة متوسطة من الوعي واللاوعي، وكذلك

"جيوفري"، استدار فتقابل وجهاهما. ولمست شفتاه خدها الناعم. رفضت "كونستونس" الاستيقاظ وكأنها لا شعوريا تريد أن تمتد هذه اللحظة.

مدفوعا بحنان بالغ أراد "جيوفري" أن يأخذها بين ذراعيه فاصطدمت يداه بكتفها الرقيقة. فاستيقظ الألم.

فتحت "كونستونس" عينيها ورجعت إلى الخلف ولاحظت أنهما متعانقان. دهشا. فزع "جيوفري" ونظر إليها مسرورا ثم ابتسم. ومال نحو شفتيها. حائرة وبدون تفكير لم تقاوم. قبلته ثم أبعدت "جيوفري" بحزم.

لم يصر ونهض واتجه نحو النافذة الصغيرة يتنفس هواء الخارج.

بقيت "كونستونس" في فراشها. ماذا حدث بالضبط؟ لم تستطع أن ترتب أفكارها، مضطربة بسبب هذه القبلة إنها لا تزال تحتفظ بمذاقها على شفتيها. أسفت لأنها استيقظت فكسرت هذا الحلم.

ثم عاتبت نفسها لضعفها: لقد كانت مجنونة. هل هذا هو التصرف اللائق بفتاة محترمة؟ يجب على العكس أن تحمد الله على أنها استيقظت. وإلا الله وحده يعلم إلى أين كان سيؤدي بها ضعفها. شعرت بالقلق لما سيظنه بها "جيوفري". ودعت الله ألا يكون قد لاحظ انجذابها نحوه.

استدار الفارس الجميل، مبتعدا عن النافذة وعاد بالقرب من "كونستونس".

– إني سعيد لأنك أكثر رقة معي في الليل عنه في النهار.

أرادت أن تصفعه.

استطرد:

– لكن دعينا لا نشعر بالاضطراب بسبب لحظة اندفاع لا

www.rewity.com

يبررها سوى النعاس.

– كان ذلك غير شعوري. وآمل أن تطرد ذلك من ذاكرتك.

قال مازحا:

– سيصعب علي ذلك. إنها لحظة استيقاظ يحسدني عليها أي فارس.

استشفت لمحة سخرية في صوته وخشيت من الصباح التالي: هل ستحتمل نظرته؟ شعرت برغبة في أن تجرحه لكي تدافع عن نفسها وهمست:

– أتصور أنك شعرت بأسف عندما استيقظت لأنك كنت تحلم بأخرى.

كان "جيوفري" أكثر حدة.

– اصمتي يا "كونستونس". من الأجدر بنا ألا نعيد الحديث عن ذلك، إنني أنتظر اليوم التالي.

مغتاظة، لم تعترض ونظرت إليه وهو يعود إلى النوم كانت تتمنى أن تسمعه ينفي أنه يفكر في "آليونور" وأن يؤكد لها أنه لم يكن يغني إلا لها هي، وأن اندفاعه في الليل كان بدافع من حبه. زفرت، إن الكراهية التي بينهما لن تسمح لأي حب أن ينمو بينهما. حزينة، عادت إلى النوم.

كانت الشمس عالية في السماء عندما ناداها.

– "كونستونس".

استيقظت. مال "جيوفري" نحوها:

– سنرحل قريبا.

قفزت خارج الفراش:

– إني مستعدة.

– لقد تحدثت إلى رئيس الفرقة وسنسافر في رفقتهم حتى نمر

من "ناربون". بعد ذلك سنتابع السفر بمفردنا. إنه متأكد إلى حد ما من أن "جيرو" قد عدل عن اللحاق بنا إنه يعتقد أننا قد بعدنا.

– سأعيد لك رباط جرحك.

– لا طائل، إني لم أعد أتألم.

– يجب أن نضع الدهان، أنت تعرف. دعني أفعل.

في ركن من الحجرة على طاولة صغيرة كان هناك دورق ماء. نظفت "كونستونس" الجرح. على الرغم من شجاعته لم يستطع أن يمنع نفسه من التأوه. بدا ضعيفا كالطفل.

قال:

– أترين؟ إنني لا أستطيع أن أستغني عنك.

– أرى أن جروحك بدأت تشفى.

واستطردت في نفسها: "لن يعود في حاجة إلي عندما يعود إلى "أكيتان" وسيعود إليه افتتانه بمليكته".

سألته:

– لقد اختفينا عن أعين الجميع. هل يجب أن تصحبني دائما كسجينتك؟

– هذه مهمتي، يجب أن أطيع مليكي.

– لكن هذه المهمة لم يعد لها سبب. حبسني "هنري بلانتاجينيه" في قصره حتى لا أكشف عن خطته للاستيلاء على "تولوز"، ولكني أخبرت "روزموند" بكل ما أعرف.

– لهذا السبب كنت مصرا على أن نأخذها معنا.

– ولكنها هربت، لابد أنها ذهبت إلى والدها والكونت دو "تولوز" لتخبرهما.

– هذا محتمل، ولكني لا أستطيع على الرغم من ذلك أن أتركك، ومن ناحية أخرى قد لا يصدقونها.

– هل تفكر في ذلك حقا؟

– الحكم يرجع إلى الملك. لا تخافي، بمجرد أن يستولي "هنري بلانتاجينيه" على "تولوز" سوف يتركك.

فكرت "كونستونس". تصورت المعركة للاستيلاء على "تولوز" وجيوش "هنري بلانتاجينيه" وضراوتهم في القتال. سمعت صوت صرخات الفرسان الذين يسقط عليهم الزيت المغلي. إن الفتيات مثلها سيبكين آباءهم؟ إن هذه الصور كثيرا ما تتردد على ذاكرة الفتاة الشابة. واعتقدت أنها مضطرة لقبول الحرب مثل القدر. عاد الأمل إلى قلبها ربما يكون الوقت قد جاء لتجنب حرب مدمرة أخرى. يجب أن تحاول.

– ألا يمكن تجنب معركة "تولوز"؟ ماذا لو أن "هنري بلانتاجينيه" عدل عن هذه الفكرة؟

– تبا، هذه أكثر الأقوال جنونا. يعدل "هنري بلانتاجينيه" بينما تطلب "آليونور داكيتان" "تولوز".

– سيطلب الكونت العون من ملك "فرنسا" "لويس السابع" الذي سيأتي لنجدة واليه. ستكون معركة دامية يسقط فيها أمهر وأشجع فرسان ونبلاء "فرنسا". سيحارب الإخوة بعضهم بدلا من مواجهة الأعداء. أو الموت في شرف دفاعا عن أهداف نبيلة. هل هذا ما يتمناه؟

– ستكون الخسائر كبيرة، ولكن هيهات الأسد "بلانتاجينيه" أن يتراجع أبدا.

– إنه هو أيضا والي ملك "فرنسا". وليس تراجعا أن يقبل إرادة حاكمه.

– كيف يتم إقناعه بذلك؟

– أنت بين الجميع فارسه المفضل. وثقته بك كبيرة، ويمكن أن

يسمع لك. إذا حدثته فسيقبل مقابلة "لويس السابع".

– أنت تطلبين مني المستحيل.

– إني أطلب منك ذلك حتى أرفع لعنتي عنك. وأتخلى عن ثاري منك لقتل والدي.

ارتعش "جيوفري". أدركت "كونستونس" أنها ضغطت على نقطة حساسة ومؤلمة، خفض الفارس رأسه ثم غاص بعينيه في عيني الفتاة الشابة.

– أقسم لك أنني سأفعل كل ما أستطيع لإقناع "هنري بلانتاجينيه" للعدول عن الاستيلاء على "تولوز".

كانت الفرقة تنتظرهما ويجب أن ينضما إليها. نزلا. كانت العربات جاهزة. عند وصولهما ابتسم المهرجون ابتسامة ذات مغزى فتوردت "كونستونس".

– آه، المحبون يتأخرون دائما.

قالت المرأة:

– دعوهما إذن، الجميع يعرفون معنى الشباب.

ركب "جيوفري" و"كونستونس" العربة بسرعة. أعطوهما وعاء به حليب وقطعة خبز وأكلا في شهية. وانطلقت العربات في طريقها. لم يروا أي أثر لـ"جيرو" ولا لرفاقه. وهناهما المهرج.

– آنستي، وأنت يا سيدي تتمتعان بموهبة كبيرة، لقد سعدت كثيرا عندما سمعتكما.

– من فضلك، هل تستطيع أن تغني مرة أخرى؟

همست "كونستونس" في أذنه:

– لقد كان هؤلاء الناس طيبين معنا للغاية. ولا نريد إلا أن نكون ودودين معهم لشكرهم.

أخذت القيثارة وبدأت تعزف. وارتفع صوت "جيوفري"

الدافئ في العربة البائسة وبشكل تلقائي -مثل ليلة أمس- نظر في عيني "كونستونس"، وأكثر من الأمس شعرا بإحساس عميق وسري ينمو بينهما.

بعد "ناربون" توقف قائد الموكب، وارتدى "جيوفري" ملابسه من جديد وعادت "كونستونس" شابة جميلة وانصرفا عن أصدقائهم.

- لتكن حياتكما طويلة مليئة بالسعادة.

وركبا حصانيهما اللذين ردهما القائد كراهية. كانت "كونستونس" صامتة متوجسة مما ينتظرها في "بواتييه" وخمن "جيوفري" ما تفكر فيه:

- سأطلب من "هنري بلانتاجينيه" أن آخذك معي إلى بلاط ملك "فرنسا". إذا توصلت إلى إقناعه بالعدول عن قراره. وبذلك ستصبحين تحت حماية الملك.

- أوه يا "جيوفري"، هل ستفعل حقا؟

- أعرف كم هو شاق بالنسبة لك تواجدك في بلاط "داكيتان" وأريد أن أجنبك حبسا جديدا. منذ قليل عندما كنا في العربة فكرت في منحك حريتك، لكني شعرت بالقلق بأن أتركك بمفردك على الطريق.

ابتسمت "كونستونس":

- الهروب من "إنجلترا" وعبور "فرنسا" كلها، ألا يكفي ذلك لكي أثبت لك أنني قادرة على السفر بمفردي؟

- الأمر مختلف لقد كان لك هدف، أما الآن فإلى أين ستذهبين؟ لا تستطيعين الذهاب إلى "تولوز" حيث عمك وابنته دون أن تكوني عرضة لهجوم "جيرو".

- لدى ملك "فرنسا"؟

- أخشى ألا تستطيعين الوصول إلى هناك دون مشكلات جمة. إذا أرسلنا "هنري بلانتاجينيه" إليه فسيستقبلنا.

- هل تعتقد أن "هنري" سيتركني أرحل؟

- أتمنى ذلك، لم يعد بقاؤك يفيده في شيء.

تأثرت باهتمامه بها. إنه لا يقودها إلا أنه أمر من حاكمه. كما قالت لها "روزموند"، وسيكون بدون شك حليفا لها في بلاط "داكيتان" الذي تكرهه. لم تعد تعرف كيف تفكر منذ أن أنقذها من المستنقع وهو ينظر إليها بطريقة مختلفة. هل عاد إليه شعوره بالحب تجاهها؟

كان من الصعب على "كونستونس" أن تعترف لنفسها بأن حبها لـ"جيوفري" الذي اعتقدت أنه انطفأ لم يكن كذلك في واقع الأمر. كلمة واحدة منه وتلقي بنفسها بين ذراعيه، ولكن هذه الكلمة، هل سيقولها؟

عاد الأمل إلى "كونستونس"، وفي نفس الوقت كانت قلقة بشأن قرار "هنري". هبط الليل، وفي الفندق الذي نزلا فيه أسفت لوحدتها في حجرتها.

في اليوم التالي وصلا إلى "بواتييه". لقد مضى حوالي ثلاثة أسابيع منذ أن هربت "كونستونس" من قصر "نوتنجهام"، وفي هذه الأثناء عاد "هنري" إلى قصره في "بواتييه".

سمعت صيحات الترحيب عند وصولهما.

- ها هو فارسنا الشجاع.

- الملك متشوق إليك يا سيدي.

- "هنري" ينتظرك لقد أرسل الرسل إلى جميع الولاة وأمرهم بالمجيء للانضمام إلى الجيش في شهر يونيو (حزيران).

- هل يجب علينا حبس السجينة؟

– لا، يجب أن أقابل الملك دون تأخير وهي معي.

بدا الفارس الذي سأل "جيوفري" دهشا نظر إليهما وقال:

– سأخبر الملك.

استدعاهما "هنري" دون تأخير. كان جالسا على عرشه في القاعة الكبيرة، وعلى كتفيه معطفه الأحمر القاني. كما رأته "كونستونس" في المرة الأولى. وإلى جانبه الملكة "آليونور" التي عبست عندما رأت الفتاة الشابة.

أمسك "جيوفري" يد "كونستونس" وتقدم ثم انحنى.

– مولاي، مولاتي، لقد أتممت المهمة التي عهدتما بها إلي.

قالت الملكة بصوت عذب جعل "كونستونس" ترتعش:

– لقد طال غيابك وافتقدناك.

– ذلك لأني اضطررت إلى متابعة الآنسة "دو جالناي" عبر دوقية "داكيتان" و"تولوز". ولم ألحق بها إلا عند ضفاف نهر "رون".

قال الملك:

– شجاعة هذه الآنسة ليس لها مثيل سوى وقاحتها.

سألت "آليونور":

– أرى أن يديك مربوطتان.

– للأسف يا مولاتي. أشعر بخجل كبير لأني لا أستطيع أن أمسك بسيفي. سأتأخر حتى أشفى حتى يكون سيفي تحت خدمتك.

كانت "كونستونس" تسمع في غيظ وعينا "جيوفري" الزرقاوان تلمعان بحب واضح. نظرة واحدة من "آليونور" كافية حتى يكون مستعدا لتقديم حياته لمولاته.

استطرد "جيوفري":

– مولاي، يجب أن أحدثك في أمر خطير.

– تحدث يا فارسي العزيز.

– مولاي، أشعر بأسف شديد لأني مضطر لإخبارك بنبأ غير سار. لقد لحقت بالآنسة "دو جالناي" ولكن متأخرا. كانت قد قابلت ابنة عمها، السيدة "دومونتليون" وكشفت لها عما تعرفه عن خطتك. والآن لابد أن "كونت دو تولوز" قد أخبر بنياتك.

صاح الملك:

– ماذا؟

ثم استدار نحو "كونستونس".

– يا للعار لقد خنت عهدك بالا تحاولي الهرب، وهانت قد خنتني. أنت تستحقين أن أقطع لسانك.

شعرت "كونستونس" بالإهانة وأجابت بصوت عال وواضح:

– مولاي، لقد خنتك هذا صحيح كما تخون أنت نفسك ملكنا جميعا ملك فرنسا. إني أدين بالولاء لـ"لويس السابع"، وواجبي يأمرني بأن أخدمه قبل أي أحد. حتى لو كان أنت نفسك.

قالت "آليونور" في حدة:

– إني لم أسمع أبدا مثل هذه الوقاحة.

بقي "هنري" مفكرا. قال:

– أريد أن أصدق أنك تصرفت على هذا النحو بدافع نبيل، ولكن سلوكك لا يتفق مع ذلك.

تدخل "جيوفري":

– مولاي.

صاح الملك:

– أتدافع عنها؟

– لا بالتأكيد يا مولاي، ولكن قد وقع المحظور، وسيطلب كونت دو "تولوز" مساعدة الملك وهو أخو زوجته أيضا. إذا ألقى "لويس السابع" بجيشه في المعركة فسيتدفق دماء الفرسان. لا أطلب سوى الموت فداء لمولاي. ولكني أشعر بالألم عندما أتصورك تفقد خيرة فرسانك.

– بارونات "اسكتلندة" و"إنجلترا" سيقفون بجانبي. وسنفوز.

– مولاي، الملكة تطلب "تولوز"، واعرف مدى قدرتك وتعدد حلفائك، وسيوافق الملك على منحك "تولوز" بدون قتال. إذا وافقت على مقابلة معه.

استمع الملك و"آليونور" إليه في اهتمام.

– إن مجرد رؤية قواتك تجعل ملك "فرنسا" يتردد. أستطيع أن أقوم بالتفاوض معه. وقد تستطيع الآنسة "دو جالناي" القدوم معي. إنها تعرف خطتك ولقد كشفتها، وسيكون حضورها دليلا لـ"لويس السابع" على أنك ترفض حربا بها خيانة.

– "جيوفري"، أعرف أن نصائحك مخلصة، وأنا أيضا لا أريد إراقة الدماء. وعرضك يستحق التفكير. سأعطيك قراري غدا.

انسحب "جيوفري" و"كونستونس".

قالت "كونستونس":

– لقد دافعت عن السلام بطريقة لا أتصور أنني كنت أستطيع أن أفعل مثلها.

– كنت أخشى عليك من غضبه، ولكن "هنري الثاني" سياسي قدير حتى إنه لا يترك غضبه يستولي عليه. أعتقد أنه سيأخذ رأي "آليونور". إنها هي الملك.

قادوا "كونستونس" إلى البرج، وقبل أن تنفصل عن "جيوفري" سألته:

– سيدي، هل لك أن تقرضني قيمة اثني عشر ماركا فضيا.

أمام دهشته أضافت:

– إني مدينة بها للخادمة التي ساعدتني على الهرب. أتمنى ألا تكون قد طردت. هل أستطيع أن أطلب منك أن...

قال "جيوفري" وهو يعطيها كيس نقود:

– سأستدعيها وستهتم بك. ولتأخذ هذا.

في المساء رأت "كونستونس" صديقتها. بكت الخادمة من الفرحة وحاولت ألا تأخذ النقود.

– آنستي لن تبقي سجينة. إن السيد "دانتيني" مهتم بشأنك.

قبلتها "كونستونس". إن هذه الكلمات الأخيرة تواسيها. قالت:

– ادعي الله أن ينجح.

في اليوم التالي جاء "جيوفري" إلى البرج.

– قبل "هنري الثاني" المقابلة مع ملك "فرنسا". سنرحل إلى "باريس" الأسبوع القادم. ومن الآن حتى هذا التاريخ ستكون يداي قد شفيتا.

الفصل التاسع

في "بواتييه" كانت "كونستونس" تتأمل قدوم الربيع من أعلى نافذة البرج كانت تعد الأيام التي تفصلها عن الرحيل وسألت الخادمة:

– أنت تعرفين كل شيء، ماذا يقولون عن ملك "فرنسا"؟ لم أره سوى مرة واحدة في "مونت سان ميشيل" من بعيد.

– إنه رجل فاضل وطيب. كان مأخوذا بالملكة "آليونور" عندما

كانت زوجته قبل أن تتزوج "هنري بلانتاجينيه".

– إذا تقابل الملكان ربما لن يكون هناك حرب.

– ستكون سعادة كبرى للشعب في "فرنسا" و"أكيتان" وسيمدح الجميع الفارس "دانتيني".

–ا صمتي، يجب أن تبقى مهمته سرية.

– إني أسمعك يا آنستي.

في شهر إبريل (نيسان) رحل "جيوفري" و"كونستونس" من بلاط "أكيتان" وكان الجو لطيفا. تلك الأيام من الراحة في بلاط الملك قد أعادت إلى "جيوفري" جمال بشرته النضرة وشعره الأشقر. قالت "كونستونس" لنفسها وهي تشعر بوخز في قلبها: "فارس نبيل كالذين تحبهم "آليونور"".

كانت يداه لايزالان مربوطتين برباط خفيف. أرادت الفتاة الشابة أن تطمئن عليهما فهي لم تستطع أن تعالجهما منذ وصولهما إلى "بواتييه".

– كيف حال جراحك؟

– كادت تشفى، بقي القليل حتى أستطيع أن أمسك بسيفي.

أضاف مبتسما:

– لأمثُل أمام الملك ساخلع هذا الرباط.

– هل سيستقبلنا على الفور؟

– معي رسالة من "هنري بلانتاجينيه" ستفتح لنا كل الأبواب.

لقد كان محقا. عندما وصلا إلى "باريس" لم يجدا أي مشقة للاقتراب من "لويس السابع". استقبلهما هذا الأخير ويحيط به بلاطه من الفرسان والسيدات النبيلات. إنه أكبر سنا من "هنري بلانتاجينيه" بشكل واضح. كان له وجه تقي. ينبعث من شخصيته تدين واضح. لم يكن حوله مهرجون ولا عازفون،

ولوزرائه هيئة مهيبة. آسفة فكرت "كونستونس" في أن بلاط "أكيتان" أكثر بهجة من بلاط "فرنسا"، وفهمت على نحو أفضل شخصية "آليونور" التي تفضل الأجواء الأكثر بهجة.

طوى الملك الرسالة.

– سيد "دانتيني"، يؤكد لي "هنري بلانتاجينيه" أنك رسوله. إني أسمعك.

– أرجو المعذرة يا مولاي ولكن أهمية رسالتي تضطرني إلى أن أجرؤ وأطلب الانفراد.

صرف الملك فرسانه. وبقي "جيوفري" و"كونستونس" جاثيين على ركبهما أمامه.

– مولاي، إني أحمل إليك رغبة "هنري بلانتاجينيه" في السلام لقد خطط للاستيلاء على "تولوز"، ولكن أضاء الله قلبه ويريد عقد لقاء بينك وبينه؛ ذلك لأنه يرى أنه من المؤسف نشر الموت والألم بين الشعب.

– لقد وصل إلى سمعي أنه يجهز جيشا وأشك أن تكون رغبته في السلام ليست سوى حيلة حرب لكي يعرف مدى قوتي.

– مولاي، بموافقة حاكمي اصطحبت معي هذه الآنسة "كونستونس دوجالناي" التي سمحت لها المصادفة أن تعرف خطة "هنري بلانتاجينيه" منذ نهاية عام ١١٥٨؛ ولهذا السبب بقيت سجينة بلاط "أكيتان" وهي مستعدة للكشف لك عن كل ما تعرف. أليس هذا دليلا على أن الملك "هنري" لا يريد خداعك؟

نظر الملك إلى "كونستونس" في فضول.

– هل السيد "دانتيني" صادق؟

– نعم يا مولاي.. هجم أقربائي على "جيوفري" وأخذوه

رهينة ثم ذهبت إلى "أكيتان" لأطلب فدية وبقيت رهينة حتى عودة الفارس. في تلك الأثناء عرفت عن طريق المصادفة أن "هنري" خطط لجمع جيش من "إنجلترا" و"أكيتان" للهجوم على "تولوز". واكتشفني وكان السجن جزائي. نجحت في الهرب من "نوتنجهام" في "إنجلترا". ولكن لحق بي السيد "دانتيني" عندما وصلت إلى "سان جيل" واضطررت إلى العودة إلى "بواتييه".

-إنها لكبيرة شجاعتك على الرغم من حداثة سنك يا آنستي. لقد انتفت شكوكي. ولكن لماذا هجمتم على السيد "جيوفري"؟

- يا مولاي، إن بيني وبينه كراهية شديدة. لقد قتل والدي أثناء معركة "توار"..

اهتز صوت "كونستونس" ولم تستطع أن تستكمل حديثها.

استطرد "جيوفري":

- وضعني القدر في مواجهة السيد "دوجالناي" وكنت أجهل أنه والد هذه الآنسة. تحاربنا في شرف حتى اخترقه سيفي أمام عيني ابنته.

تأثر الملك ونظر إلى "كونستونس" في عطف.

- أيتها الطفلة المسكينة. أدرك مدى ألمك. لقد عرفت مدى قسوة "بلانتاجينيه" في تدمير "توار".

التفت نحو الفارس:

- سيد "دانتيني"، هل شعرت بالندم والأسف لأنك تسببت في يتم "كونستونس دو جالناي"؟

- من ذلك اليوم يا مولاي فقدت معنى النوم، ولا أستطيع أن أنظر إلى الآنسة "دو جالناي" دون أن أشعر بخجل شديد.. حياتي كلها لا تستطيع أن تعوضها عن الألم الذي تسببت لها فيه. وبناء على رغبتها رجوت "هنري بلانتاجينيه" أن يعدل عن فكرة الحرب.

فكر الملك طويلا. نهض وذهب أمام شيء يشبه المذبح يوجد في ركن منعزل، وعندما انتهى من تفكيره عاد إلى عرشه.

- سيد "دانتيني"، أخبر "هنري الثاني" أنني أوافق على مقابلته قريبا.

- شكرا يا سيدي، إني سعيد لذلك. هل أستطيع أن أطلب منك أن أترك "كونستونس" لديك إذ إنها ترغب في أن تكون في حمايتك؟

قال:

- ملك "فرنسا" لا يرفض أبدا أن يمنح حمايته لأي من كان. آنستي، مرحبا بك في القصر.

أجابت "كونستونس" في تأثر:

- شكرا يا مولاي.

انسحب "جيوفري". وتبعته بنظرها تحت عيني "لويس السابع" المنتبهتين.

- يا طفلتي، إني لا أستشف أي كراهية في نفسك، ويبدو أن هذا الفارس يوحي إليك بشعور آخر.

- مولاي لقد كان قلبي مفعما بالحب تجاهه قبل أن أكرهه. لقد تبادلنا العهد على الحب، ولكني لعنته عند موت والدي. وكراهيتي له دفعته للإعجاب بـ"آليونور داكيتان".

بدا الألم على وجه الملك.

- كيف لا يعشق "آليونور"؟ إنها رائعة الجمال.

عضت "كونستونس" شفتها. وندمت على ما قالت. لقد ذكرت الملك أنها هجرته من أجل "هنري بلانتاجينيه".

استطرد "لويس السابع":

- اللعنة شيء خطير جدا. يجب أن تدعي الله بأن يقدرك

على العفو عن "جيوفري دانتيني".

– مولاي، إني مازلت أحبه على الرغم من كل شيء.

ولا أستطيع أن أخفي ذلك عن نفسي، كما أشعر بكراهية شديدة تجاهه لأنه يحب أخرى، الملكة.

– يجب أن تسامحيه وتنسيه يا طفلتي. لا يمكن أن تتزوجي الرجل الذي قتل والدك. سنجد فارسا آخر جديرا بك لتصبحي زوجته.

ارتعشت "كونستونس". ونظر إليها الملك وسألها في لطف:

– هل هو موجود بالفعل؟

– نعم يا مولاي. "جيرو دو فونتالفرين". يريد أن يتزوجني لكني لا أستطيع. إنه لا يعجبني على الرغم من أنه مخلص وشجاع؛ ولكي أتجنب لقاءه لم ألحق بعائلتي الموجودة الآن في "تولوز".

– سنرى ذلك يا طفلتي. ربما تكون هذه الاختبارات إشارة من الله أنه قد اختارك لخدمته في أحد الأديرة. هيا سيطلعونك على غرفتك.

شعرت "كونستونس" بالاضطراب لكلمات الملك. في الماضي لم تكن تفكر أبدا في الدير. ربما يكون ذلك ملاذها إنها لا تحب الحياة الملكية، وعلى أية حال كانت تفضل الدير على الحياة مع "جيرو دو فونتالفرين" منذ هروبها من "بزييه". لابد أن "روزموند" قد روت له كل شيء.

*****

بعد فترة وجيزة تم اللقاء بين ملك "فرنسا" و"هنري الثاني". رأت "كونستونس" "جيوفري" من جديد ولم تعد يداه مربوطتين. عندما رأته مشرقا بالقرب من حاكمه أدركت "كونستونس"

أنها يجب أن تتخلى عن فكرة الارتباط بـ"جيوفري". على الرغم من أن ذلك سيصيبها بالم شديد.

استمر اجتماع الملكين وقتا طويلا. لم يعرف أحد ماذا كان يقولان. وبقي "لويس السابع" بعد الاجتماع صامتا.

وبعد قليل أعلن الملك أن لقاء ثانيا سيتم في "هوديكور". وتقابل الملكان من جديد في اجتماع مغلق، وفي نهاية الاجتماع بدا الاثنان على وفاق تام. ثم أقيم احتفال كبير ونظمت مباراة. وعمت السعادة قلب "كونستونس" لهذا الصلح. قالت في نفسها: "لقد نجح "جيوفري" وتم تجنب الحرب".

لقد جاء الوقت الذي تفي فيه بعهدها وتصفح عن "جيوفري". للأسف لم تستطع لأنها لم تنفرد به أبدا. كانت مضطرة إلى البقاء ضمن بلاط "لويس السابع"، و"جيوفري" لا يفارق الجميلة "أليونور". فكرت "كونستونس": "حبه لمولاته كبير جدا حتى إنه نسي عهدي له بأن أسامحه". ودت لو تستطيع أن تصرخ في وجه "جيوفري" وتقول له إن تجاهله لها يعذبها ولكنها أجبرت قلبها على الصمت. من الآن فصاعدا يجب أن تتدرب على نسيانه.

في شهر يونيو (حزيران) رحل "لويس السابع" إلى إسبانيا آخذا معه جزءا من حاشيته. لقد استتب الأمن الآن. بينما كان الموكب الملكي يعدُّ لـ"لويس السابع" مأدبة في "بوجنسي" جاء مرسال وقال هذه الكلمات:

– لقد نقض "بلانتاجينيه" العهد. قد جاءته جيوش من "اسكتلندة" و"إنجلترا". إن فرسانه لا يحصون. وقد تجمعوا في "بريجو".

صاح الملك:

– ما تقوله مستحيل!

– هيهات يا مولاي، لقد رأيت بعيني الجيش الغفير. وهذا ليس كل شيء، إن الرجال المسلحين لا يكفون عن الانضمام إلى الجيش الأول.

– الخائن. الفاسد. لقد خان ثقتي.

أسرع "فارسان" للتأكد من كلام المرسال، وعندما عادا بعد ثلاثة أيام بدا عليهما الحزن.

– مولاي، نأسف لأننا نحمل إليك أخبارا سيئة.

– تحدثا.

– لقد دخل "هنري بلانتاجينيه" الريف. قوة جيشه أنهت أي مقاومة. إنه يتقدم في اتجاه "تولوز"، وهو الآن يستقر في "كاهور".

وفقا لعادته انسحب الملك "لويس السابع" -ليصلي ويستشير الله، ثم استدعى فارسيه. وقال:

– سنذهب لمساندة "كونت دو تولوز". لن يجرؤ "بلانتاجينيه" على اقتحام مدينة ينزل بها حاكمه.

– ولكنه يتفوق من حيث القوة. إذا اقتحم "تولوز" فسينتصر وهو يعرف ذلك.

– واجبنا هو مساعدة "كونت دو تولوز" مهما كان الثمن.

شعرت "كونستونس" بخيبة أمل لخيانة "بلانتاجينيه". لقد كان ماكرا بنفس قدر دمويته كيف استطاع "جيوفري" الشجاع المستقيم أن يطيع ملكه في هذه الخيانة؟

اتجه "لويس السابع" وأتباعه نحو "تولوز". وعندما وصلوا إليها كانت قوات "بلانتاجينيه" تحيط بالمدينة، ودون تردد تقدم "لويس السابع" الذي ابتعدت القوات أمامه لتسمح له بالمرور.

في القصر كان "كونت دو تولوز" يستعد لإخلاء المدينة. وهو

متأكد مقدما من الهزيمة. استقبل ملك "فرنسا". وشكره لمجيئه لمساعدته. وكان تأثر "كونستونس" كبيرا عندما رأت "روزموند" وعائلتها.

احتضنها عمها:

– "كونستونس"، عزيزتي "كونستونس"، كل هذه الشهور من البعاد، لقد أصابنا قلق شديد عندما روت لنا "روزموند" مغامرتكما.

قبلتها "روزموند" بدورها.

– ابنة عمي العزيزة، كم افتقدتك. لو تعرفين مدى قلقي عليك.

التفت العائلة حول الفتاة الشابة.

قالت والدة "روزموند":

– الحمد لله أنت في صحة جيدة.

– إني مستاءة جدا لأني وجدتكم في مثل هذه الظروف المؤسفة.

– سنحارب بشجاعة وسيساعدنا وجود "لويس السابع" معنا.

وأصابتهم الدهشة لوجودها بين حاشية الملك. واضطرت إلى أن تروي لهم كل ما حدث منذ أن هربت أمام ملاحقة "جيرو" وعندما انتهت أخذتها "روزموند" جانبا.

– أين "جيوفري" إذن؟

– لا أستطيع التفكير فيه. بعد إنقاذه لي اعتقدت أنه لا يزال يحبني، وكنت على وشك أن أعترف له بأن قلبي ينبض بحبه، ولكن عندما عدنا إلى "بواتييه" تأكدت أن حبه لـ"آليونور" لم يفتر.

– على الرغم من ذلك فقد أنقذ حياتك.

– في نفسه ندم شديد لأنه كان السبب في موت والدي. ولم ينقذني إلا ليهدئ هذا الشعور الذي يؤلمه.

– لم يكن ليندم لو لم يكن مهتما بك.

www.rewity.com مـروريـة

– أقول لك إنه لم يعد يحبني. قد يكون ذلك من الأفضل حتى أستطيع أن أنساه. مهما كانت مشاعري تجاهه فلن أستطيع أن أتزوجه وهو الذي قتل والدي.

– ماذا ستفعلين؟

– اقترح عليّ الملك الدير، بالتأكيد سأتمكن هناك من البكاء على حبي الضائع، ولكن أن أحبس نفسي كل حياتي يبدو لي من أسوأ المصائر. يجب أن أختار. لا أستطيع أن أعيش بمفردي.

– "جيرو دوفونتالفرين" لم يتغير لقد ندم على اندفاعه وتهوره. إنه لايزال يتمنى أن يكون زوجا لك.

– أين هو؟

– إنه يشترك في تنظيم الدفاع عن "تولوز" مع الفرسان الآخرين. سترينه هذا المساء.

–أعتقد أنني سأقبله. ماذا أستطيع أن أفعل غير ذلك؟ بما أنه يحبني فهذا أفضل من الدير.

– من يعرف إذا كان لديك فرصة الاختيار؟ لا، ربما نهلك جميعا.

– أشعر بأن الله لن يتخلى عنا.

– أود أن أشاركك هذا الإيمان. ولكن "بلانتاجينيه" قوي جدا.

– ربما يقرر كونت "تولوز" أن يستسلم بدون قتال؟

– أشك في ذلك.

ذهبا أعلى السور حيث وضع الرجال الرماح في وضع الاستعداد. ومن أعلى شاهدا الريف الذي يحيط بالقصر. ومن بعيد لاحظت "كونستونس" الجيوش المتقدمة نحو "تولوز".

قالت:

– كأنه طوفان سيبتلعنا.

هبط الليل ودخلت "كونستونس" و"روزموند" إلى القصر وسيطر

جو من التوجس في المكان. كان الخدم يعدون الموائد للعشاء وعلى وجوههم الحزن كأنهم ينتظرون أن يقتلوا بين لحظة وأخرى.

بدا ملك "فرنسا" و"كونت دو تولوز" مجهدين.

– السكان يحبسون أنفسهم في بيوتهم، النساء والأطفال يبكون والرجال يرفضون القتال. يقولون إن المقاومة ستزيد من عنف "بلانتاجينيه".

مالت "روزموند" نحو "كونستونس":

– اسمعيهم. لقد هزمنا مقدما.

فجأة ضغطت على يد ابنة عمها:

– ها هو "جيرو".

دخل "جيرو" وقد بدا عليه الإجهاد والغضب.

رأى الفتاتين فتسمر في مكانه ثم اندفع نحوهما وجثا على ركبتيه أمام "كونستونس".

– آنستي. هانت، كم أنا سعيد، سأدافع عن "تولوز" حتى الموت لكي أدافع عنك.

أمسك يدي الفتاة الشابة بحب وقبلهما.

– أرجو المغفرة، كم كنت أحمق عندما تهورت عليك. لقد أعمتني الغيرة، كنت مع هذا الفارس التعس واعتقدت أنه أغواك. كنت أفضل أن أقتلك على أن أراك زوجة له. "كونستونس" قلبي يحترق من أجلك قولي لي إنك تحبينني وإنك ستصبحين زوجتي.

لم تتحرك "كونستونس" وقد شعرت بالإحراج لاعتراف "جيرو" لها بحبه. صمت– منتظرا القبول والعاطفة تلتهمه ونهض واحتضنها بقوة. رجعت إلى الخلف وقد شعرت بخشونة لحيته. وهو في اندفاعه لم يلاحظ ذلك. وأطبق بشفتيه على شفتيها. في اشمئزاز واضح دفعته "كونستونس" بقوة وفرت من أمامه مسرعة.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

وقف "جيرو" في حيرة. واندفعت "روزموند" خلف ابنة عمها. وجدتها تستند إلى الحائط وهي تلهث ويدها على قلبها.

– لا، لن أستطيع أن أكون زوجته أبدا. إنه يخيفني. الدير أفضل منه ألف مرة، لا أستطيع أن أكون زوجة لآخر غير "جيوفري دانتيني".

الفصل العاشر

عندما هبط الليل تقاسمت "كونستونس" الغرفة مع "روزموند" في الدور الأخير من القصر؛ إذ كان هناك نقص في الأماكن. لم تستطيعا النوم بسبب القلق من المعركة القادمة. كانت "كونستونس" ترتعش من حماس "جيرو".

– آه "روزموند"، لماذا لا أستطيع أن أسيطر على قلبي؟ لماذا حبي لـ"جيوفري" بهذا العمق؟ لماذا لا أحتمل أن أحب رجلا آخر؟ إنني أحب الرجل الوحيد الذي يستحيل حبه. إني يائسة.

محاولة أن تهدئها طلبت منها "روزموند" أن تروي لها مغامراتها من جديد. وطرحت عليها عدة أسئلة عن بلاط الملك "لويس السابع" وحياته في "باريس". ولكن تردد اسم "جيوفري" بدون توقف على شفتي "كونستونس". مضت الساعات وأدركت "روزموند" أن لا شيء يستطيع أن يصرف "كونستونس" عن التفكير في "جيوفري" الفارس الأشقر.

في وسط الليل جاء خادم يطرق بابهما. همس إلى "كونستونس":

– آنستي، من فضلك اتبعيني، أحد فرسان "بلانتاجينيه" يريد أن يتحدث إليك بسر خطير. إنه خارج المدينة ورجاني أن أصحبك إليه. حياتك متوقفة على ذلك.

همست الفتاة الشابة:

– "جيوفري"! لا يمكن أن يكون أحد سواه.

قبلت "روزموند" ابنة عمها:

– اذهبي إذا كان يدعوك. إنك له.

وضعت "كونستونس" معطفها في عجلة وتبعت الخادم. نزلا السلم متجنبين إحداث أي صوت ثم خرجا من القصر. المدينة بأسرها نائمة. وسلكا شوارع وحواري المدينة حتى وصلا إلى حائط.

همس الخادم:

– إنه ينتظرك على الجانب الآخر.

صاح حارس:

– من هناك؟

قال الخادم الذي لوح بكيس نقود كبير:

– هل تسمح بمرور هذه الآنسة؟

أذعن الحارس وفتح باب السور. كان "جيوفري" منتظرا.

– لقد جئت لآخذك ولأنقذك. سآخذك خارجا إلى معسكر "بلانتاجينيه".

– لا أستطيع أن أترك "تولوز" بهذه النذالة بعد أن وجدت فيها حسن الاستقبال.

– يجب ذلك. سيهجم "هنري الثاني". إنه متفوق عددا لن يبقي ساكنا لهذه المدينة على قيد الحياة غدا.

– لا يا "جيوفري". هذا مستحيل! لقد قررت أن أهلك مع ذويي إذا كان هذا هو مصيري. بما أنك لم تستطع أن تمنع عدوان ملكك الغادر.

– "كونستونس"! "هنري بلانتاجينيه" ليس بالملك الخائن الذي تظنين. لقد عدل عن مشروعه بعد مقابلته بملك فرنسا. لقد أراد ذلك

بصدق. حدثت المأساة بعد ذلك عندما لحق به ملك "اسكتلندة" وبارونات "إنجلترا" في "أكيتان" إنهم هم من دفعوه إلى الحرب لم يستطع أن يتراجع خشية أن يفقد تقدير حلفائه في "إنجلترا".

– "جيوفري"، لم أعد أحتفظ بأي كراهية تجاهك وكلماتك تدل على نبل قلبك، ولكني لا أستطيع اتباعك. إني تحت حماية الملك "لويس السابع" وأن أتركه هذا يعد خيانة.

أمسك كتفي "كونستونس" وجذبها نحوه.

– تعالي معي أرجوك. لقد ساعدني الخطر الذي ينتظرك على التأكد من مشاعري. إني أحبك. حبك الذي أسكنه في قلبي أقوى من أي شيء آخر. أحبك ولا أستطيع أن أعيش بدونك.

– كنت أعتقد أنك تحب "آليونور داكيتان".

– كنت أعتقد ذلك أيضا. لقد مزجت بين الحب والاحترام. "كونستونس" أرجوك. أرجو أن تصفحي عني وتغفري لي الألم الذي سببته لك. أحبك بشغف. إني مستعد للتضحية بحياتي من أجلك. تعالي معي.

مضطربة ألقت بنفسها بين ذراعيه.

– أحبك يا "جيوفري" ولم أحب سواك. منذ أول لقاء لنا في "توار". عرفت أنني لن أكون لأحد سواك.

لم يعد هناك وجود لأي شيء في عالمهما سوى حبهما. قبلها بحرارة ومد إليها يده لتتبعه لكنها رفضت.

– "جيوفري" بقدر قوة حبنا تعرف أنه مستحيل. الماضي يلاحقنا. يجب أن أضحي من أجل ذكرى والدي، وساعيش على ذكرى هذه اللحظة. اذهب لتلحق بالآخرين يا حبيبي، إني أدعو الله أن يحفظك.

وضع إحدى ركبتيه على الأرض.

– بدونك لن تكون حياتي سوى عذاب. سأتمنى الموت لكني لن أفقد الأمل أبدا. سأحاول المستحيل. سأحاول أن أقنع "هنري الثاني" بالعدول عن المذبحة. وإذا عاش كلانا ونجحت في حقن دماء سكان "تولوز" فهل أكون قد كفرت عن ذنبي لمقتل والدك؟

سالت الدموع على خدي "كونستونس". همست بصوت مهتز:

– اذهب. لو فعلت سيبارك ربي زواجنا. إني متأكدة ليبارك الله محاولتك.

أمسك لجام حصانه ونظر إليها مرة أخيرة. في ضوء القمر رأت الدموع تلمع في عينيه وقفز إلى حصانه وابتعد بسرعة.

فتح الحارس الباب للفتاة الشابة. وتبعت الخادم وعادت إلى غرفتها. كانت ابنة عمها تنتظرها في قلق. توقعت "كونستونس" كل الأسئلة.

– لا، لا تتحدثي. لا تسالينني عن شيء. اتركيني وحدي أرجوك.

أذعنت "روزموند". جلست "كونستونس" على السرير. ثم وضعت وجهها بين يديها وقالت:

– يا إلهي! إني أحبه كثيرا.

في الفجر كان كل جنود كونت دو "تولوز" مستعدين للحرب، كانوا ينتظرون أن يعطيهم الكونت الإشارة بالهجوم. ارتفعت شمس الصيف على "تولوز" كانت الأسقف البيضاء تلمع من شدة الضوء، إن المدينة مستعدة للانفجار.

في الظهر لم تتقدم قوات "هنري الثاني" قيد أنمله. كان انتظار قوات كونت "تولوز" ثقيلا إذ أعياهم القلق والتوجس والشمس تتابع مجراها.

في الساعة الثالثة من بعد الظهر كانت اللمعة المنبعثة من

السيوف الساكنة تعمي الأبصار، والصمت الثقيل مازال سائدا.
في الساعة الخامسة من بعد الظهر انحنت الرءوس من التعب تحت حرارة الشمس، وبأسفل كانت قوات "هنري الثاني" متسمرة في مكانها كأنها قد تعلقت بفعل سحر. في القصر كان كونت "تولوز" يروح ويجيء في عصبية متزايدة.

– ماذا يحدث! لماذا لا يهاجمون؟ ما هي الحيلة الجديدة التي يدبر لها هذا الخائن "هنري الثاني"؟

كانت "كونستونس" تصلي وفي قلبها أمل كبير في أن ينجح "جيوفري" في مهمته.

وفي الساعة السادسة رأوا فارسا ينصرف عن معسكر الملك "بلانتاجينيه" ويتوجه نحو "تولوز". خفض قلب الفتاة الشابة بشدة.

دخل المرسال البهو الكبير. انحنى أمام الملك "لويس السابع" و"كونت دو تولوز".

– مولاي، إن حاكمي "هنري الثاني" لنبل قلبه هو وحلفاؤه من "إنجلترا" و"اسكتلندة" يريدون حقن دماء سكان المدينة. إن له التفوق العسكري. إذا أردت أن تجنب الشعب هذه المذبحة فاختر أحد فرسانك ليقابل أحد فرسان "هنري الثاني". وتقام بينهما مباراة فجر باكر. إذا فاز فارس "هنري الثاني" تتراجع وتتنازل عن المدينة بدون معركة. وإذا فاز فارسك يتراجع جيش "هنري الثاني". إذا رفضت هذا الحكم فلدي أمر أن أخبرك بأن الهجوم سيكون على الفور بدون رحمة.

بعد أن انتهى من حديثه انتظر المرسال الرد ورأسه منحن. قال الملك "لويس السابع":

– سأعطيك الرد بعد ساعتين.

سمعت "كونستونس" والأمل يملأ قلبها. إنها إذن فكرة

"جيوفري"، لقد نجح لكن بأي ثمن! من هو فارس "هنري الثاني" مالم يكن هو؟

سأل الملك "لويس السابع" المرسال:

– من سيكون بطلكم؟

– الفارس "جيوفري دانتيني" يا مولاي. لا يوجد من هو في شجاعته وقوته.

أغلقت "كونستونس" عينيها وهي تخمن من سيكون خصم "جيوفري". هل استعاد "جيوفري" كل قوته؟ في هذه اللحظة لم يعد يهمها مصير "تولوز". ستكون معركة موت. المهم أن تكون في صالح الرجل الذي تحب.

التفت الملك "لويس السابع" إلى كونت دو "تولوز" وقال له:

– أيها الوالي، لا نستطيع أن نضحي بشعب المدينة.

– مولاي، أفضل أن أموت أمام خصمي لكني لن أخضع لرأيه.

– الله يريد أن يكفينا شر القتال، والشجاعة هي العدول عن الحرب وليس القتال. الشجاعة أيضا هي التضحية من أجل حياة الشعب. هل تقبل؟

– أقبل يا مولاي.

– إذن سنمتثل للتحكيم الإلهي.

– من سيكون بطلنا يا مولاي؟

– أعرف "جيوفري دانتيني" إنه شجاع قوي يلزمنا أفضل فرساننا. كلهم أقوياء، ولكني لا أجد من هو جدير بـ"جيوفري".

نظر الفرسان بعضهم إلى بعض، ليس خوفا ولكنهم كانوا يتساءلون عمن هو القادر على إحراز النصر.

عندئذ برز "جيرو دو فونتالفرين" وضع يده اليمنى على مقبض سيفه ورفع رأسه في شموخ.

– مولاي، أطلب شرف أن أكون بطلك وسيقطع سيفي عنق "جيوفري".

نطق بهذه الكلمات في حماس شديد. كانت عيناه تلمعان بالكراهية وأدرك "لويس السابع" كالجميع أن هناك دافعا آخر أقوى من الرغبة في إنقاذ "تولوز" يحمس هذا الفارس.

قال الملك:

– موافق "جيرو دو فونتالفرين". إني أختارك بطلا لمواجهة "جيوفري دانتيني".

– شكرا يا مولاي.

ثم طاف "جيرو" بنظره على الجمع وتوقف عند "كونستونس" حملق إليها بشدة حتى ارتعشت. لقد تأكد من أنها تحب "جيوفري"؛ ولهذا السبب سيقتله بيديه.

نادى الملك المرسال:

– أخبر حاكمك أن الغد في الفجر سيكون بطلنا جاهزا.

رحل الرجل. وعم ارتياح كبير ولا أحد يشك في أن حكم الله سينصر "جيرو". الوحيدة التي لم تشاركهم هذا الارتياح كانت "كونستونس". إلى من تفضي بما يثقل قلبها؟ إنها تتمنى أن ينتصر "جيوفري". جاءت "روزموند" إلى جانبها.

– أفهم مدى ألمك. كوني واثقة بحكم الله. الكراهية تحرك "جيرو" بينما "جيوفري" قد تسلح بالحب، وسيكون الحب أقوى من كراهية "جيرو".

شكرت "كونستونس" ابنة عمها وهي ليست مقتنعة تماما بما قالت. جاءت لحظة العشاء ولم تكن "كونستونس" راغبة في الطعام. انتهى العشاء وهمت بالصعود إلى غرفتها. واعترضها "جيرو".

– أنت تحبينه، أليس كذلك؟

– إني له إلى الأبد. آسفة يا "جيرو" أنت شجاع ومخلص وأردت أن أحبك لكني لا أستطيع.

– آه سأقتله يوم أراه: كراهيتي له أكبر من حبي لك.

وابتسم ابتسامة ساخرة:

– إذا كنت تحبينه إلى هذا الحد فضحي بحياتك من أجله.

– بكل سرور.

– إني أقترح عليك اتفاقا: حياتك مقابل حياته، عندما يكون أمام سيفي سأكون قد انتصرت، ولا شك في ذلك. إذا قبلت الزواج بي فسأعفو عنه وإلا قتلته بدون رحمة. أطلب وعدا منك.

بدا الاضطراب على ملامح "كونستونس" وقد تصورت شكل المعركة المؤلمة ترددت قليلا. ثم قالت:

– اعف عنه، وسأكون لك طوال حياتي. أقسم أمام الله.

نظر إليها نظرة كراهية أكثر منها نظرة حب.

– أوافق. بعد أيام قليلة سأكون زوجك. وستكونين تحت إرادتي، وداعا.

بدلا من أن تتوجه إلى حجرتها توجهت إلى قاعة السلاح، لو لم ينتصر "جيوفري" غدا فستقتل نفسها على أرض المعركة، وبذلك لن يفوز بها "جيرو" أبدا. اختارت سيفا..

– ماذا تفعلين هنا؟

انتفضت واستدارت فوجدت "جيرو" خلفها أمسك بقبضتي "كونستونس".

– لماذا هذا السيف؟ أجيبي.

لاحظت أنه أذكى مما كانت تعتقد. لقد خمن قصدها. انفجرت قائلة:

– نعم إنه من أجلي. إذا كان الموت هو مصير "جيوفري"

فسأطعن نفسي لأموت معه لن أكون لك أبدا.

أصابه غضب شديد، وتحول إلى اللون القرمزي.

– أتحبينه إلى هذه الدرجة؟ بما أن الأمر كذلك لتموتا أنتما الاثنان. أريد أن أراه يحتضر أمام عيني. أريد أن أسعد بمشهد موته.

فزعة من هذا التوحش. هربت "كونستونس" وهي تجري إلى غرفتها. إن "جيرو" تحركه إرادة شيطانية. غدا سيحارب كالنمر.

الفصل الحادي عشر

في الفجر غادر "جيرو فونتالفرين" "تولوز" للتوجه إلى المباراة كان يمتطي حصانا أسود في فخر، وكان يرافقه عدة فرسان و"كونستونس" وعائلتها، وكذلك الملك "لويس السابع" وكونت دو "تولوز" ليحضروا المباراة.

شاهدت "كونستونس" مكان المبارزة بقلب منقبض. قد تم إعداد هذا المكان في السهل خارج معسكر "هنري بلانتاجينيه". إنه على شكل مستطيل يفصله في منتصفه حاجز يحدد ممرين. كل فارس يتحرك بحصانه في أحدهما ويكون الاشتباك أعلى الحاجز.

كان هناك خيمة كبيرة قد تم نصبها مخصصة لإقامة الملكين وأتباعهما. وعلى كل جانب نصبت خيمة لاستراحة الفرسان، في كل واحدة سرير ومقعد ليستريح المتحاربان بين كل شوطين. وهناك حارس لخدمتهما.

كان لـ"كونستونس" الحق في مكان في خيمة الشرف.

في مركز الخيمة جلس "هنري الثاني" و"لويس السابع" جنبا إلى جنب. الجزء الأيمن شغله أفراد بلاط ملك "إنجلترا". جلست "كونستونس" بجانب "روزموند" في الجزء الأيسر وكذلك كل

أتباع ملك "فرنسا".

كانت الخيمة الملكية تعطي ظهرها للشرق. وموقع المبارزة في اتجاه الشمال–الجنوبي، حتى لا تبهر أشعة الشمس المتبارزين. لحظة المواجهة يندفع "جيرو" صوب الجنوب و"جيوفري" صوب الشمال.

قدم البطلان للمثول أمام الملكين. ارتعشت "كونستونس" عندما ظهر الفارس الأشقر.

انحنى الفارسان أمام "هنري الثاني" و"لويس السابع". نظرت الفتاة الشابة في قلق إلى يدي "جيوفري". بحث عنها بعينيه وكأنه خمن قلقها وأظهر راحتي كفيه. رأت ندبتين وزفرت:

– يبدو أنهما قد شفيا.

جاء المنادي وأعلن:

– اليوم الخامس والعشرون من شهر يونيو (حزيران) لسنة ١١٥٩، تعقد مبارزة من أجل السيطرة على "تولوز". يتواجه فيها الفارس "جيرو دو فونتالفرين" بطل الملك "لويس السابع" ملك "فرنسا". و"جيوفري دانتيني" بطل الملك "هنري الثاني بلانتاجينيه" ملك "إنجلترا" وحلفائه. سيتبارز البطلان بالرماح. إذا لم ينتصر أحدهما بعد ثلاثة رماح فستتابع المباراة بالسيف حتى موت أحدهما. وسيختار الله الاختيار الأفضل.

اختفى الرجل ونهض رجل الدين الذي يرأس هذا الحدث.

– "جيرو دو فونتالفرين"، هل توافق على الخضوع لحكم الله؟

– أوافق.

– "جيوفري دانتيني"، هل توافق على الخضوع لحكم الله؟

– أوافق.

في خشوع مالت "آليونور داكيتان" وربطت وشاحها حول ذراع "جيوفري".

انحنى "جيوفري":

– مولاتي. سأنتصر.

ثم بين دهشة الجميع بدلا من أن يندفع إلى موقع المباراة تقدم نحو "كونستونس":

– حبيبتي، احميني بدعواتك.

متأثرة، مدت إليه "كونستونس" طرحتها.

– لن تتركك دعواتي أبدا. ساحيا معك أو أموت معك.

دس الطرحة في ملابسه.

واتجه كل فارس إلى مكانه. وعلى عكس كل المبارزات لم يكن هناك هتاف ولا صرخات تشجيع. بقي الحضور صامتين مدركين خطورة المباراة. شاحبة تابعت "كونستونس" المباراة وهي تدعو الله بحرارة. ضغطت "روزموند" على يدها.

– إني متأكدة أنه سيفوز.

– إني مستعدة لدفع حياتي حتى ينتصر، ولكني أخشى وحشية "جيرو".

بدأت المباراة واندفع كل من الفارسين واصطدم الرمحان في قوة لا تصدق.

كتمت "كونستونس" صرختها. تحت تأثير قوة الصدمة. فقد البطلان اتزانهما. ترنح "جيوفري" فخشيت أن يسقط. استطاع أن يعتدل على حصانه ويتعلق به بيده اليسرى. تنفست الصعداء وتبعته بعينيها ثم استدار ليتجه إلى الخيمة وأسفت أنها بعيدة عن الخيمة حتى تقدم له الماء.

لقد ترنح "جيرو" أيضا ثم استعاد توازنه ثم رفع رأسه نحو الحاكمين كأنه يقول لهما.

– انظرا أنا لن أضعف أبدا، ساكون الأقوى.

كان الوقت الذي يفصل بين الشوطين قصيرا إلا أنه بدا دهرا بالنسبة لـ"كونستونس" كانت تريد أن تنتهي هذه المبارزة بسرعة.

دق النفير من جديد. وبدأ الشوط الثاني.

اندفع البطلان. دقات خطوات الحصانين كانت ترن في رأس الفتاة الشابة. تقابل الرمحان بقوة شديدة.

صرخت "كونستونس" ووقف كل من يحيطون بها.

وضمت "أليونور داكيتان" يديها على شفتيها. تملك فريق "هنري الثاني" فزع كبير. بينما تبادل كونت دو "تولوز" والملك "لويس السابع" التهنئة.

لقد كان الشوط الثاني قويا جدا وعنيفا، وتحت قوة الصدمة كسر رمح "جيوفري". أدركت "كونستونس" مدى يأسه وهو يتجه إلى خيمته. مر "جيرو" أمامها ثم التفت إلى الخيمة الملكية ورفع خوذته إشارة إلى انتصاره.

همست الفتاة الشابة في أذن ابنة عمها.

– لقد خسر "جيوفري".

– ربما يمنحونه رمحا جديدا.

– تعرفين أن هذا مستحيل في مثل هذه الحال. ماذا يستطيع أن يفعل حيال "جيرو" وهو بدون سلاح؟

لمعت الدموع في عينيها وهمست "روزموند" لتشجعها:

– لننتظر قرار رجل الدين.

مالت "كونستونس" لتنظر عن يمينها. كان رجل الدين يتناقش مع الملكين. وخلفها سمعت همسات معسكر "تولوز".

– سيضربه "جيرو" ضربة واحدة.

– أراهن أنه سيسدد له ضربة في رأسه.

– سيفقد "دانتيني" قوته ولن يستطيع الصمود في مبارزة

السيف. إنه ميت.

كانت كل جملة من تلك الجمل كالطعنة في قلب "كونستونس" دعت الله في حرارة أن تكون ضربة الرمح القادمة لصالح "جيوفري".

في صمت تام تقدم المنادي ليعلن ما توصلت إليه مناقشات الحكام:

– وفقا لقانون المبارزة لا يستطيع المتحاربون تغيير السلاح؛ لذلك لن يمنح "جيوفري دانتيني" رمحا آخر. ويجب أن يستمر في المباراة على هذه الحال.

إن هذا حكم على "جيوفري" بالهلاك. أرادت "كونستونس" أن تخنق كل أتباع "لويس السابع" الذين صفقوا. ومنعها احترامها لذاتها فقط أن تصرخ.

همست:

– هذا حكم غير عادل.

حاولت "روزموند" دون جدوى أن تواسيها. تابعت "كونستونس" الشوط الثالث من المباراة وقلبها يكاد يتوقف من شدة الخوف.

اندفع الفارسان الواحد صوب الآخر كالوحشين. شحبت الفتاة الشابة. و"جيرو" يحمل رمحه بشكل أفقي مستقيما أمامه تماما بشكل لا يخفق التصويب على وجه خصمه.

لقد كان "جيوفري" يواجه "جيرو" المتسلح بالكراهية وهو أعزل. لا يمكن أن يصد عنه ضربة "جيرو" سوى درعه. في اللحظة الأخيرة رفعه فجأة.

تحت تأثير الصدمة المفزعة تراجع "جيوفري" إلى الخلف. ولكن قد نجا فقد تحول رمح "جيرو" في اتجاه السماء بقوة شديدة حتى

إنه قفز من بين يديه.

ارتفعت صرخة أسف في معسكر "تولوز" يعلو عليها صيحات الفرحة في معسكر "بلانتاجينيه". لم تعد أعصاب "كونستونس" تحتمل كل هذه الإثارة ففقدت وعيها على كتف ابنة عمها. التي ربتت خد الفتاة الشابة التي عادت شيئا فشيئا إلى وعيها في الوقت الذي أعلن فيه المنادي النتيجة:

– مضت الأشواط الثلاثة بشكل صحيح دون أن ينتصر أحد الفارسين. ونتيجة لذلك سيتواجه الفارسان في مبارزة بالسيف حتى يموت أحدهما. ستستأنف المباراة الساعة الخامسة من بعد الظهر وستستمر حتى مغيب الشمس.

كانت فترة الاستراحة فرصة ليستعيد المتبارزان قوتهما.

في الخيمة الملكية نهض الحضور للتوجه إلى البوفيه المعد خصيصا بالقرب من الخيمة. بدأت الشمس تبعث بأشعتها المحرقة فاستندت "كونستونس" برأسها على كتف ابنة عمها. كان الحضور يتناقشون في فرص انتصار كل من الفارسين.

همست "روزموند":

– لقد كان "جيوفري" ممتازا.

لقد كانت الصدمات عنيفة جدا وأتمنى ألا يكون قد جرح. أريد أن أذهب لرؤيته.

– لا تستطيعين. يجب أن يبقى هناك بمفرده.

– أنا لا تهمني القوانين.

أعطاها حبها كل الشجاعة. سألت الحكم وأعطاها الإذن بزيارة "دانتيني"، وعلى الفور أرادت أن تطير إليه.

كان جالسا على مقعده ورأسه عار، والحارس يمسح وجهه بماء بارد، فزع "جيوفري" عندما رأى "كونستونس" وأبعد في إشارة

الحارس.

– اتركني بمفردي.

وثبت نحوه وقبلت وجهه المجهد في حنان. أمسكت يديه وقبلت راحتيهما.

– حبيبي، كنت خائفة جدا هل أنت بخير؟

ابتسم وأخرج طرحتها من طيات ملابسه ووضعها على شفتيه.

– إنها هي التي حمتني. وستحميني هذا المساء.

– ماذا أستطيع أن أفعل؟ هل تشعر بعطش؟

مرتعشة صبت الشراب في الكأس وقدمته له. أمسكه بيده اليسرى وشرب. قلقة قطبت "كونستونس" حاجبيها. وربتت ذراع وكتف "جيوفري" اليمنى فتاوه.

– يا إلهي! لقد جرحت.

– لا شيء، الصدمة عندما ضرب الدرع. لكن هذا المساء ستضطر للمبارزة بذراعك الأيسر.

جحظت عينا "كونستونس" كانت تعرف مهارة وقوة "جيرو". إن المعركة لن تكون عادلة. رأت حبها يضيع..

– فارسي الحبيب، مهما حدث فإن مصيرنا واحد. لن أعيش بعدك. انظر.

أطلعته على السيف الذي خبأته في ملابسها.

– سأطعن به قلبي لأموت معك. بدونك لن أعيش. متأثرا أخذها بين ذراعيه.

– حبيبتي. كم أحبك.

ثم سألها في جدية:

– هل عقدت العزم على الموت إذا لزم الأمر؟

– اقسم لك.

– إذن سأطلب منك تضحية كبيرة يا حبيبتي. القضية التي أدافع عنها لم تعد عادلة، وإني لم أقبل الحرب إلا لأفوز بك؛ لأن "هنري بلانتاجينيه" وعدني بأن يعفو عنك وأن يوافق على زواجنا إذا انتصرت. لكني لا أستطيع أن أنسى أن "هنري الثاني" خائن للملك "لويس السابع". إذا لم يقتلني "جيرو" فقد قررت أن أقدم نفسي لسيفه. وأطلب منك العدول عن نية قتل نفسك وأن تبقي على قيد الحياة من أجل حبي.

هزت رأسها وهي تبكي.

– لا يا "جيوفري"، بدونك لا أستطيع أن أعيش.

– عيشي من أجل حبي.

اندفعت إليه.

– سأطيعك، ولكن قبل ذلك أريدك أن تحبني الآن حتى أحتفظ بك في نفسي إلى الأبد. أحببني يا "جيوفري" أرجوك.

–لا يا "كونستونس"، بالتأكيد إني أرغب في ذلك، لكني لا أستطيع أن أرتكب هذا الذنب والمسك دون مباركة الله لزواجنا.

– بعد لحظات ستموت. أرجوك امنحني حبك.

– لا. يجب أن أحتفظ بكل قوتي. رفضي قتل "جيرو" لن يكون له قيمة في عيون الجميع ما لم يكن لي الغلبة؛ ولذلك يجب أن أكون الأقوى.

أدركت خطأ اندفاعها. ابتعدت "كونستونس"، وارتشفت بعض الشراب وهمست:

– من الأفضل إذن أن أبتعد عنك، وداعا يا حبيبي. ستعيش في قلبي إلى الأبد.

– وداعا يا حبيبتي، ستكونين أنت الشيء الوحيد الذي أفكر فيه وأنا أفقد حياتي.

كأنها منومة مغناطيسيا، عادت نحو الخيمة الملكية، شعرت كأن الشمس قد حجبها غمام أسود، كأنها قد ارتدت طرحة سوداء حدادا على حبها الضائع.

مضى الوقت. لم تكن تعرف كم مضى من الوقت عندما تبعت "روزموند" واتخذتا مكانا بين الحضور. قد تغير شكل أرض المبارة ليتناسب مع أداة المبارزة الجديدة. ووقف صقر أعلى أحد الأعمدة.

قال أحد الحضور:

– هذا نذير شؤم.

نظرت "كونستونس" إلى الطائر. هل ينتظر جشمان "جيوفري"؟

في الساعة الخامسة من بعد الظهر دق النفير للمرة الأخيرة كأنه أنشودة جنائزية. كان الجو حارا ولا يوجد أي رياح أو نسيم، عم القلق والتوتر المكان.

بزغ الفارسان من خيمتيهما كأنهما وحشان. وقد استل كل منهما سيفه.

تقابل السيفان يخبطان ويدوران في الهواء في صخب شديد. لمس سلاح "جيوفري" عنق "جيرو" مما أثار صيحات الخوف وهتافات الفرح في نفس الوقت. لم يبدر عن "كونستونس" أي رد فعل. لقد غابت الحياة بالنسبة لها. ولم يعد في جسدها سوى روح غائبة.

انتهز "جيرو" اللحظة القصيرة التي رفع فيها "جيوفري" ذراعه وقطع سير ركابه فجرح ساقه في نفس اللحظة. ترنح "جيوفري" على الحصان وسقط، ومن حسن الحظ تخلص من الحصان بسرعة.

وخز "جيرو" مؤخرة الحصان الذي ابتعد بسرعة ثم رفع سلاحه. وجد "جيوفري" الوقت لكي ينهض ولم يكن في ساقه سوى خدش صغير. وقف وسيفه في يده في مواجهة "جيرو".

في صرخة متوحشة أمسك "جيرو" سيفه بيديه ووجه لـ"جيوفري" ضربة قوية استقبلها سيفه.

ضربة، ضربتان، ثلاث لم يصمد تفوق "جيرو". "جيوفري" أكثر تحركا و"جيرو" يسيطر عليه اندفاعه. استطاع "جيوفري" بدوره أن يسقط "جيرو" من على حصانه. سقط هذا الأخير متدحرجا على الأرض وهو لايزال ممسكا بسيفه. ودون أن يضيع لحظة واحدة وثب على "جيوفري".

همست "روزموند":

– انظري، إنهما متكافئان الآن.

كانت "كونستونس" تسمعها بالكاد. فيما يهم ذلك بما أن النتيجة المأساوية معروفة بالنسبة لها؟ لم تكن تتمنى سوى شيء واحد: أن ينتهي هذا العذاب بسرعة.

كان الأمل يملأ قلب معسكر "هنري بلانتاجينيه" وهم الآن يهتفون.

– تشجع يا "جيوفري".

– أنت لنا يا "بلانتاجينيه".

– أنت لنا يا "تولوز".

لم تكن "كونستونس" تنتبه إلى هذه الهتافات، وكانت كلمات "جيوفري" تدق في رأسها "إني أنوي أن أقدم نفسي لسيف "جيرو"". بما أن الأمر كذلك ففيم الانتظار؟

أيقظها هتاف من ألمها. طار سيف "جيرو" في الهواء وسقط على الأرض. تدحرج الفارس "دو فونتالفرين" نحو سيفه في يأس. وبحركة واثقة التقط "جيوفري" السيف من على الأرض وألقى به بعيدا. لقد ضاع "جيرو" نائما على ظهره أمام خصمه. كان "جيرو" ينتظر الموت.

وضع "جيوفري" طرف سيفه على خصمه ثم استدار نحو الخيمة الملكية وبصوت رنان قال:

– أنا الأقوى وأستطيع أن أقتل الفارس "دوفونتالفرين" على الفور. لكنني لا أريد أن أدافع عن قضية غير عادلة وأن أتحالف مع الخيانة. "هنري" يا حاكمي، أنت والٍ للملك "فرنسا". ومحاربتك له خيانة لواجبك. لكي أجنبك هذا العار إني أقدم حياتي لسيف "جيرو".

وجه حديثه إلى الرجل الملقى على الأرض:

– "جيرو"، انهض واضربني.

رجع ثلاث خطوات إلى الخلف وألقى سيفه أمام بطل ملك "فرنسا". ثم وقف مستقيما عالي الرأس، وعيناه تنظران إلى السماء. دون أن يكشف عن خوف. أغلقت "كونستونس" عينيها. لقد جاءت اللحظة المشؤومة.

من جديد ساد الصمت المطلق. وحبس الجميع أنفاسهم. نهض "جيرو" في بطء وأخذ سيف "جيوفري" ونظر إليه طويلا ولوح به في الهواء ثم ألقى بالسيف على الأرض.

– إني أرفض أن أكون نذلا أن أقتل فارسا مثلك بهذه الطريقة. "جيوفري دانتيني"، أنت أكثر الفرسان نبلا وشجاعة وإني أنحني أمامك.

خلع خوذته وعاد أمام الملك "لويس السابع" وكونت دو "تولوز".

– مولاي، أستطيع أن أكون فارسك ولكني لا أستطيع أن أكون قاتلا.

بقيت "كونستونس" دهشة. إنها لا تستطيع أن تصدق ما يحدث. هل من المعقول أن يرفض "جيرو" قتل خصمه وهو يقدم نفسه له؟

ساد لحظة حرج شديد. نهض "لويس السابع" ومحدثا

"جيرو":

– لا أستطيع أن ألومك أيها الفارس لأن الله هو الذي منع ذراعك.

بدوره، نهض "هنري بلانتاجينيه" واعترى الحضور شعور بالخوف. الجميع يخشون الغضب الذي يسيطر على ملك "إنجلترا" تقدم "جيوفري" ووقف في مواجهته ونظر مباشرة إلى عينيه.

قال "هنري الثاني":

– "جيوفري دانتيني" يا فارسي. نبل تصرفك يؤكد أن الله هو الذي أوحي إليك به لكي أشعر أنا أيضا بالأسف لأني خنت الملك وأردت أن أستولي على أملاكه بالقوة. كذلك لا أحمل لك أي ضغينة لأن الحقيقة قد تدفقت على شفيتك.

انحنى "جيوفري" ثم قال "هنري بلانتاجينيه" بصوت قوي:

– إني أؤكد للملك "فرنسا" "لويس السابع" أنني سأبقى واليا مخلصا. من الغد ستنسحب قواتي إلى "أكيتان" ليعرف الجميع أن "بلانتاجينيه" لم يستول على مدينة كان بها حاكمها.

تأثر الحضور بهذه الكلمات وترقرقت عيون السيدات بالدموع.

– يا فارسي الحبيب تعال لأقبلك لشجاعتك سأجعلك "بارونا".

– مولاي، بما أن كرمك الكبير سيمنحني هذه الجائزة فليس لي سوى طلب واحد. أن توافق على ارتباطي بالسيدة التي أحبها "كونستونس دوجالناي".

ارتعشت "كونستونس". التفت "هنري الثاني" نحو ملك "فرنسا" طالبا موافقته. الذي قال:

– نحن نحب كثيرا الآنسة "دوجالناي"، ونحن سعداء لهذا

الاختيار لأن ليس هناك من هو أفضل من الفارس "جيوفري" زوجا نبيلا لها. نريد حضور هذا الزفاف ونباركه بالبركة الملكية.

في قمة سعادتها أخذت الفتاة الشابة يد الملك وقبلتها وعمت السعادة، ودارت كئوس الشراب في فرحة وبهجة.

تقدم "جيوفري" أمام "كونستونس" وخصلاته الشقراء تحيط رأسه. مد يده إليها، وفي هذه اللحظة تقدم "جيرو" نحوهما ونظر إليهما. قائلا:

– آنستي، يجب أن أنحني أمام شجاعة خصمي. لقد كنت أكرهه كثيرا. أريد أن أكون صديقا مخلصا له من الآن فصاعدا. آنستي، تستطيعين الاعتماد على إخلاصي الذي لن يكون له مثيل. إني أتمنى لك حياة سعيدة ومديدة.

ثم ابتعد. مضطربة ألقت "كونستونس" بنفسها بين ذراعي "جيوفري" الذي قال:

– حبيبتي.

– فارسي الحبيب.

– ستكونين زوجتي إلى الأبد.

– ستكون زوجي إلى الأبد.

ابتسم في فخر وسعادة.

– أترين؟ لقد انتصر السلام.

وضعت إصبعها على شفتيه وهمست:

– لا، لقد انتصر الحب.

وتقابلا في قبلة طويلة وتشابكت أيديهما. وستشرق الشمس دائما في عيني "كونستونس" الخضراوين وكذلك في عيني الفارس الأشقر الزرقاوين. البارون الأكثر شجاعة ونبلا "جيوفري دانتيني".

تمت بعون الله